

شرح الإمام

بأحاديث الأحكام

تأليف

الإمام المجتهد ابن دقيق العيد

أبي الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري المصري

(٦٤٥ - ٥٧٢ هـ)

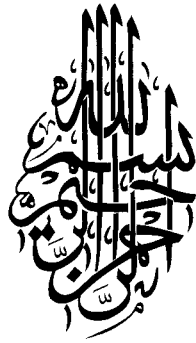
المجلد الأول

يُطبع لأول مرة كاملاً محققاً على ثلاث نسخ مخطئة

حفظه وعلو عليه وشرحه أماريته

محمد خروف العبد لله

١٤٤٠



شرح المفردات

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

من إصدارات

دار الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الملك العربية السعودية

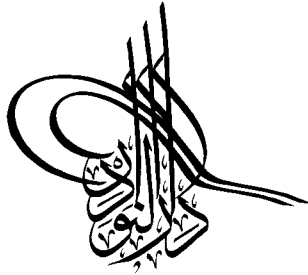
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الطبعة الثانية

من إصدارات

دار النواذر

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



لصاحبها وديرها العام

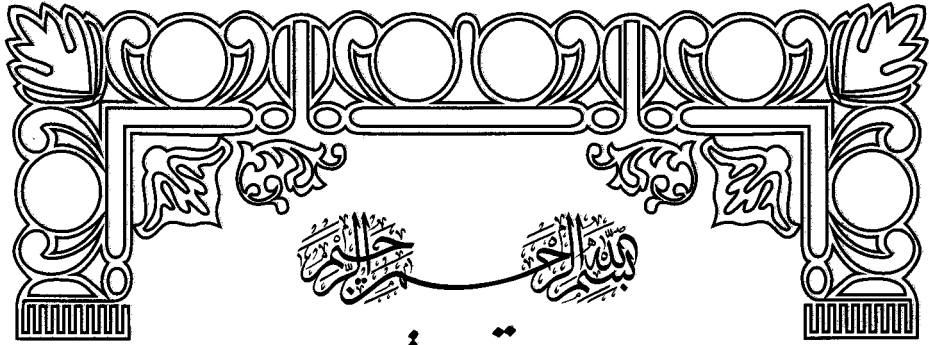
نور الدين طالب

سوريا - دمشق - ص. ب. : ٢٤٢٦

لبنان - بيروت - ص. ب. : ١٤/٥١٨

هاتف : (٠١١ ٢٢٢٧٠٠) فاكس : (٠١١ ٢٢٢٧٠١) ٩٦٣..

www.daralnawader.com



مقدمته

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أتماعده

فإن كتاب «الإمام في معرفة أحاديث الأحكام» للإمام المجتهد
المجدد ابن دقيق العيد - رحمه الله - لا نظير له في الكتب المصنفة في
الأحكام الجامعة بين الحلال والحرام، حتى قال عنه: أنا جازم أنه
ما وُضِعَ في هذا الفن مثله^(١).

وهو القائل أيضاً: ما وقفتُ على كتاب من كتب الحديث
وعلمومه المتعلقة به، سُبِقَتْ بتأليفه وانتهى إليّ، إلا وأودعتُ منه فائدةً

(١) انظر: «الطالع السعيد» للأدقوي (ص: ٥٧٥).

في هذا الكتاب^(١).

ولذا قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: هو كتاب الإسلام، وقال: ما عمل أحد مثله، ولا الحافظ الضيأ، ولا جدِّي أبو البركات^(٢).

ثم إنَّه - رحمه الله - قد اختصر كتابه هذا، لمَّا رأى استخشان بعض أهل عصره لإطالته، فصنف «الإمام بأحاديث الأحكام»، وهو من أجلِّ كتابٍ وُضِعَ في أحاديث الأحكام، يحفظه المبتدئ المستفيد، ويناظرُ فيه الفقيه المفيد^(٣)، ومن فهم مغزاه، شدَّ عليه يد الضنَّانة، وأنزله من قلبه وتعظيمه الأعزَّين مكاناً ومكانة^(٤).

وقد شرط فيه مؤلِّفه أن لا يوردَ إلا حديثاً من وثَّقه إمام من مزكِّي رواة الأخبار، وكان صحيحاً على طريقة بعض أهل الحديث الحفاظ، أو أئمة الفقه النظار^(٥).

ثم إنه - رحمه الله - قد شرح هذا الكتاب؛ أعني «الإمام»، شرحاً عظيماً^(٦)، وصل فيه إلى نهاية باب صفة الضوء، أتى فيه

(١) انظر: «مقدمة الإمام في معرفة أحاديث الأحكام» (١ / ٥٢) نقلاً عن «ملء العيبة» لابن رُشيد (٣ / ٢٦٠).

(٢) انظر: «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٧٥ - ٥٧٦).

(٣) انظر: «الاهتمام بتلخيص الإمام» لقطب الدين الحلبي (ص: ٥).

(٤) انظر: «مقدمة هذا الشرح» (١ / ٢٥).

(٥) انظر: «مقدمة هذا الشرح» (١ / ٢٦).

(٦) انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤ / ١٤٨٢).

بالعجائب الدالة على سعة دائرته في العلوم، خصوصاً في الاستنباط،
كما قال الحافظُ ابنُ حجر^(١).

وقيمة هذا الكتاب «شرح الإمام بأحاديث الأحكام» تتجلى
لمُطالعه حالما ينظر فيه، فقد أسفر فيه المؤلف عن نكت وفوائد
بديعة.

وأورد فيه من النوادر والمباحث الدقيقة ما يأخذ بالألباب.

وأوضح فيه منهجاً سليماً قوياً في كيفية الاستدلال والاستنباط
من السنة والكتاب.

وأبرز فيه من التقريرات والتوجيهات الأصولية ما انفرد به عن
نظرائه، وفاق كثيراً من قرنائهِ.

وأفصح فيه عن كثير من العلوم الخادمة لفهم النصوص الشرعية؛
كعلوم العربية، والمباحث المنطقية والأصولية، والقواعد العقلية.

ومن هنا قال الحافظ قطب الدين الحلبي: إنه لم يتكلم على
الحديث من عهد الصحابة إلى زماننا مثل ابن دقيق العيد، ومن أراد
معرفة ذلك، فعليه بالنظر في القطعة التي شرح فيها «الإمام»، فإن
جملة ما فيها: أنه أورد حديث البراء بن عازب: «أمرنا رسولُ الله صلى
عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع»، واشتمل على أربع مئة فائدة^(٢).

(١) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٥ / ٣٤٨).

(٢) انظر: «رفع الإصر عن قضاة مصر» لابن حجر (ص: ٣٩٥).

إن كتاباً أُرِيت مواردهُ على المئتين والثلاثين من أمهات كتب الإسلام، اعتمد مؤلفه عليها في أواخر القرن السابع الهجري، لجديرٍ بالوقوف عليه .

وإن كتاباً قاربت فوائدهُ الثلاثة آلافِ فائدة ومسألة من شرح سبعة وخمسين حديثاً، لتحقيق أن يُنظر في ما حواه، وأن يُنعمَ النظرُ في فحواه .

هذا وقد منَّ الله عليَّ بتحقيق هذا السفر الجليل، والاضطلاع بأعباء تصحيح نصوصه وتقويمها، وتخريج أحاديثه وآثاره وأشعاره وغيرها مما تراه في منهج التحقيق، ثم إنني قدّمت للكتاب بفصلين، اشتمل أولهما على ترجمة الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله، وكان الآخر لدراسة الكتاب، وفي كل واحد منهما مباحث وفوائد متنوعة .

ويعلم الله، كم قد تحمّلتُ، في هذه الأوقات التي كنت أعمل فيها في هذا الكتاب، شغلاً وهمّاً، ودينياً وغُرماً، وظلماً وهضماً . ولكن أسأل الله أن ينفع بعلمي هذا، ويشيبي به في الآخرة، فمَنه سبحانه أستمدُّ العون، ومن الخسارة فيما أرجي ربحه أسأله الصّون، ولا حول ولا قوة إلا به .

ولا بد في الختام من التوجُّه بالشُّكر والامتنان إلى كل من كان له يد في إخراج هذا الكتاب إلى عالم المطبوع، وأخصُّ بالذِّكر منهم :

- فضيلة الشيخ المحقق المدقق نور الدِّين طالب، الذي أتحنفي بتصوير النسخة الخطية لمكتبة كوبريلي، وأمدّني بالمراجع والمصادر المخطوطة والنادرة المتوفرة لديه، كما كان له الفضلُ في بعث المهمة على إنجاز هذا العمل وإخراجه على نحو مرضي .

- فضيلة الشيخ المفيد المجيد عبد الباري بن حمّاد الأنصاري، الذي
تفضّل بتصوير النسختين الخطيتين لدار الكتب المصرية والمكتبة
البيعية.

- الإخوة الأفاضل الذين كانوا لي خير معين - بعد الله عزوجل - في
إخراج هذا الكتاب، من العمل معي في النسخ والمقابلة والتصحيح
والفهرسة والتنضيد والإخراج، وأخصّ بالذكر منهم الإخوة: إدريس
أبيدمي، ومحمد عبد الحليم بعاج، وجمعة الرحيم.

أسأل الله - إن كان لي من حظّ في هذا الكتاب عنده - أن يضرب
لكلّ واحد من هؤلاء المشايخ الأمثال والإخوة الأفاضل بسهم فيه،
وأن يشركوني في أجر نشر هذا العلم وتبليغه، إنه سبحانه وليّ ذلك،
وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه
أبو عبد الله
محمد خلوف العبد لله
حامداً لله تعالى على أفضاله
ووصلياً وسلاماً على نبيه وآله
ومتّصياً عن صحبه وأتباعه



الفصل الأول

ترجمة الأمل ابن دقيق العيد

البحث الأول

* اسمه ونسبه وولادته:

هو الإمام، المجدد، المجتهد، شيخ الإسلام، محمد بن علي ابن وهب بن مطيع بن أبي طاعة المنفلوطي القوصي^(١) الثَّبَجِي^(٢) المصري المالكي الشافعي، تقي الدين أبو الفتح ابن القاضي الإمام أبي الحسن القشيري، من ذرية بهز بن حكيم القشيري رضي الله عنه^(٣)، المشهور بـ: ابن دقيق العيد^(٤).

ولد في شعبان سنة (٦٢٥هـ)، في ينبع على ساحل البحر الأحمر، عندما كان والده متوجهاً من قوص إلى مكة للحج.

- (١) نسبة إلى مدينة قوص من مدن الصعيد في جنوب مصر.
- (٢) الثَّبَجِي: بمثابة ثم موحدة مفتوحتين. قال العراقي في «شرح الألفية المسماة بالتبصرة والتذكرة» (١ / ٢٨١ - ٢٨٢) شارحاً قوله: «استشكل الثَّبَجِي». قال: المعني بقولي: «استشكل الثَّبَجِي»: هو ابن دقيق العيد، وربما كان يكتب هذه النسبة في خطه؛ لأنه ولد بثبج البحر بساحل ينبع من الحجاز، ومنه الحديث الصحيح: «يركبون ثبج هذا البحر»؛ أي: ظهره، وقيل: وسطه، انتهى. وكذا قال الأُدْفُوي في «الطالع السعيد» (ص: ٥٧٠) أنه رآه بخطه: الثَّبَجِي.
- (٣) قال الذهبي في «المعجم المختص» (ص: ١٦٩): فيما بلغنا. وقال الحافظ في «الدرر الكامنة» (٥ / ٣٥٠): ويُذكَر ذلك.
- (٤) قال الأُدْفُوي في «الطالع السعيد» (ص: ٤٣٥) في ترجمة والد الإمام ابن دقيق: الشيخ مجد الدين علي: وسبب تسمية جده - يعني: مطيعاً - : دقيق العيد: أنه كان عليه يوم عيد طيلسان شديد البياض، فقال بعضهم: كأنه دقيق العيد، فلقب به رحمه الله.

* نشأة وطلبه للعلم :

نشأ الإمام ابن دقيق العيد في أسرة علمية، مشهورة بالتدين والصلاح؛ فأبوه الشيخ مجد الدين أبو الحسن علي، جمع بين العلم والعمل والعبادة والورع والتقوى والزَّهَادَة والإحسان إلى الخلائق مع اختلافهم، وبذل المجهود في اجتماع قلوبهم وائتلافهم، وقد ارتحل إليه الناس من سائر الأقطار، وقصدوه من كل النواحي والأمصار^(١).

أما أمُّه: فهي بنت الشيخ الصالح تقي الدين مظفر بن عبد الله المشهور بالمقترح.

قال الأَدْفُوي: فأصله كريمان، وأبواه عظيمان.

وقد ذكر والدُه: أنه أخذه عند ولادته وطاف به الكعبة، وجعل يدعو الله أن يجعله عالماً عاملاً.

فابتدأ الشيخ بقراءة القرآن العظيم، حتى حصل منه على حظٍّ جسيم، ونشأ بقوص على حالة واحدة من الصمت والاشتغال بالعلوم، ولزوم الصيانة والديانة، فاشتغل بالفقه على مذهب الإمامين مالك والشافعي على والده، وكان قد اشتغل بمذهب الشافعي أيضاً على تلميذ والده الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي، وكان يقول: البهاء مُعَلِّمي.

(١) انظر: «الطالع السعيد» للأدْفُوي (ص: ٤٢٤)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٤/١٦٦)، وكان قد توفي رحمه الله سنة (٦٦٧هـ).

وقرأ الأصول على والده، ثم سمع بمصر والشام والحجاز، على
تحرّ في ذلك واحتراز، فرحل إلى القاهرة فقرأ على شيخ الإسلام العز
ابن عبد السلام، وقرأ العربية على الشيخ شرف الدين محمد بن أبي
الفضل المرسي، وغيره.

ثم ارتحل في طلب الحديث إلى دمشق والإسكندرية وغيرهما،
وسمع الحديث من والده، والشيخ الحافظ عبد العظيم المنذري،
وأبي العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، والحافظ أبي
علي الحسن بن محمد البكري، وخلائق.

ثم درّس بالمدرسة الفاضلية، والمدرسة المجاورة للشافعي،
والكاملية، والصالحية بالقاهرة، ودرّس بقوص بدار الحديث
بيت له.

وقد اشتهر اسمه في حياة مشايخه، وشاع ذكره، وتخرّج به
أئمة، وسمع منه الخلق الكثير، والجسم الغفير مع قلة تحديته
رحمه الله.

* * *

البحث الثاني صفاته وأخلاقه

قال ابن سيّد الناس : ولم يزل حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه، وقف نفسه على العلوم وقصرها، ولو شاء العادُّ أن يُعدَّ كلماته لحصرها، وله مع ذلك في الأدب باع وساع، وكرم طباع، لم يخلُ بعضها من حسن انطباع، حتى لقد كان محمودُ الكاتب، المحمود في تلك المذاهب، المشهود له بالتقدم فيما يشاء من الإنشاء على أهل المشارق والمغرب، يقول : «لم تر عيني أدبَ منه»^(١).

وكان يقول رحمه الله : «ما تكلمتُ كلمةً، ولا فعلتُ فعلاً، إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل»^(٢).

وكان - رحمه الله - يسهر ليله في العلم والعبادة؛ قرأ الشيخ ليلة، فقرأ إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١]، فما زال يكررها إلى مطلع الفجر^(٣).

وقال الصاحب شرف الدين محمد بن الصاحب زين الدين أحمد : كان ابن دقيق يقيم في منزلنا بمصر في غالب الأوقات، فكنّا

(١) انظر : «الطالع السعيد» للأدقوي (ص : ٥٧٠).

(٢) انظر : «طبقات الشافعية» للسبكي (٩ / ٢١٢).

(٣) انظر : «الطالع السعيد» (ص : ٥٧٩).

نراه في الليل إمّا مصلياً، وإما يمشي في جوانب البيت، وهو مفكر إلى طلوع الفجر، فإذا طلع الفجر صلى الصبح، ثم اضطجع إلى ضحوة. قال صاحب: وسمعت الشيخ الإمام شهاب الدين القرافي المالكي يقول: أقام الشيخ تقي الدين أربعين سنة لا ينام الليل، إلا أنه كان إذا صلى الصبح اضطجع على جنبه إلى حيث يتضحى النهار^(١).

وكان - رحمه الله - عديم البطش، قليل المقابلة على الإساءة، وله في ذلك أخبار.

وكان يحاسب نفسه على الكلام، ويأخذ عليها بالملام، لكنه تولى القضاء في آخر عمره، وذاق من حلوّه ومُرّه، على أنه عزل نفسه مرةً بعد مرة، وتنصّل منه كَرّة بعد كَرّة.

وله في القضاء آثار حسنة، منها انتزاع أوقافٍ كانت أخذت واقتطعت، ومنها أن القضاة كان يُخلع عليهم الحرير، فخلع على الشيخ الصوف فاستمر، وكان يكتب إلى النواب يُذكّرهم ويحذّرهم^(٢).

وكان - رحمه الله - كريماً جواداً سخياً، ومن طريف ما يحكى في ذلك: ما ذكره محمد بن الحواسيني الفرضي القوصي، وكان من طلبه

(١) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٥ / ٣٥١).

(٢) انظر: «الطالع السعيد» (ص: ٥٩٦ - ٥٩٧)، و«رفع الإصر» لابن حجر (ص: ٣٩٦).

الحديث، وأقام بالقاهرة مدة في زمن الشيخ، قال: كان الشيخ يعطيني في كل وقت شيئاً، فأصبحت يوماً مُفلساً، فكتبت ورقة وأرسلتها إليه وفيها: «المملوك محمد القوصي أصبح مضروراً»، فكتب لي بشيء، ثم ثاني يوم كتبت: «المملوك ابن الحواسيني»، فكتب لي بشيء، ثم ثالث يوم كتبت: «المملوك محمد»، فطلبني وقال لي: من هو ابن الحواسيني؟ فقلت: المملوك، قال: ومن هو القوصي؟ قلت: المملوك، قال: تدلّس عليّ تدليسَ المحدثين؟! قلت: الضرورة. فتبسم وكتب لي^(١).

وكان الشيخ يقول: ضابطُ ما يُطلبُ مِنِّي أن يجوزَ شرعاً، ثم لا أبخل^(٢).

وكان - رحمه الله - متحرّزاً جداً في أمر النجاسة، مشدداً على نفسه، وله في ذلك حكاياتٌ ووقائعٌ عجيبة^(٣).

(١) المرجع السابق، (ص: ٥٧٦ - ٥٧٧).

(٢) المرجع السابق، (ص: ٥٧٧).

(٣) قال الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٨٢): وكان في أمر الطهارة والمياه في نهاية الوسوسة ﷺ.

وقال الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٤ / ١٣٨): قد قهره الوسواسُ في أمر المياه والنجاسة، وله في ذلك حكايات ووقائع عجيبة.

وقال التجيبي في «مستفاد الرحلة» (ص: ١٧): وكان رحمه الله قد التزم التشديد والتضييق على نفسه في العبادات، وبالغ في ذلك، حتى ربما أفضى به الأمر إلى وسواس يعتره في خاصّة نفسه، لا يفتي به الناس، فتلحقه منه =

وكان - رحمه الله - عزيزَ النفس، خفيفَ الروح، لطيفاً، على نسك وورع، ودين متَّبِع، ينشد الشعر والزَّجَل والمُوشَّح، وكان يستحسن ذلك، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

بحسبك أني لا أرى لك عائباً سوى حاسدٍ والحاسدون كثير

= مشقةٌ عظيمة. قال تلميذه قطب الدين الحلبي - فيما نقله عنه الذهبي في «التذكرة» (٤ / ١٤٨٣) -: وبلغني أن جده لأمه الشيخ الإمام المحقق تقي الدين بن المقترَح كان يشدد في الطهارة ويبالغ، انتهى.

قلت: هذا ما ذكره من ترجم للإمام ابن دقيق العيد، وكذا قال غيرهم ممن ترجم له، وأنا أذكر هاهنا فائدة جليلة تُمْتُ بصللة وثيقة إلى ما نحن فيه، نقلتها من فوائد الشيخ ابن دقيق في كتابنا هذا، وهي التفرقة بين الورع والوسوسة.

قال رحمه الله (٤ / ٢٠٤ - ٢٠٥): والفرق بين الوسواس والورع دقيق عسير، فالمتساهل يجعل بعضَ الورع وسواساً، والمشدّد يجعل بعضَ الوسواس ورعاً، والصراط المستقيم دَحْضٌ مَرَلَةٌ.

ومما ينبغي أن يفرق به بينهما: أن كل ما رجع إلى الأصول الشرعية فليس بوسواس، ولا أريد الأدلة الشرعية البعيدة العموم، انتهى.

وعندما تكلم - رحمه الله - في قاعدة الاقتصاد في المصالح والطاعات، قال أثناء كلام له (٥ / ٩٣): وهاهنا أمر دقيق عسير في العلم به وفي العمل في مواضع: منها الفرق بين الورع والوسواس، فإن الوسواس مذموم، والورع محمود، وآخر كل مرتبة تلي الأخرى، وأول الأخرى تلي آخر الأولى.

ثم قال: فهذا هو العسير في معرفة التوسط علماً وعملاً، حيث تتقارب المراتب، فأما إذا تباعدت، فلا إشكال، انتهى.

قلت: لِيَتَأَمَّلْ كلام الإمام ابن دقيق رحمه الله الذي ذكرته، مع ما قيل من أمر تشدده ووسوسته، وأن يزان ما قيل عنه في هذا الباب بقسطاس مستقيم، والله أعلم بحقيقة الحال، وإليه سبحانه المرجع والمآل.

المبحث الثالث

* علم الإمام ابن دقيق حرم الله :

تفرد الإمام ابن دقيق العيد في علوم كثيرة، فكان حافظاً مُكثراً، إلا أن الرواية عَسُرَتْ عليه لقلّة تحديّته، فإنه كان شديدَ التحرّي في ذلك^(١)، وكان خبيراً بصناعة الحديث، وهو إمام الدنيا في فقه الحديث والاستنباط^(٢).

قال الذهبي: أربعة تعاصروا: التقي ابن دقيق العيد، والشرف الدميّاطي، والتقي ابن تيمية، والجمال المزني، قال الذهبي: أعلمهم بعلم الحديث والاستنباط ابن دقيق العيد، وأعلمهم بالأنساب الدميّاطي، وأحفظهم للمتون ابن تيمية، وأعلمهم بالرجال المزني^(٣).

وكان - رحمه الله - يحقّق المذهبين المالكي والشافعي تحقيّقاً عظيماً، وله اليد الطولى في الفروع والأصول، وفي تصانيفه من الفروع الغربية والوجوه والأقاويل ما ليس في كثير من المبسوطات، ولا يعرفه كثيرٌ من النُقَلَة^(٤)، وكان لا يسلك المراء في بحثه، بل يتكلم

(١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٢١٢ / ٩).

(٢) المرجع السابق، (٢٤٤ / ٩).

(٣) نقله السيوطي في «تدريب الراوي» (٤٠٥ / ٢) فقال: رأيت في «تذكرة» صاحبنا الحافظ جمال الدين سبط ابن حجر، فذكره.

(٤) انظر: «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٨٠).

كلماتٍ يسيرةً بسكينة ولا يُراجع^(١).

وكان - رحمه الله - في نقده وتدقيقه لا يُوازي، حتى قال الشيخ صدر الدين بن الوكيل: إذا نقد وحرّر فلا يوفيه أحد^(٢). فإنه كان - رحمه الله - صحيحَ الذهن، كما قال علاء الدين الباجي^(٣).

وله - مع ذلك - النظم الفائق، المشتمل على المعنى البديع واللفظ الرائق، السهل الممتنع، والمنهج المستعذب المنيع، والذي يصبو إليه كلُّ فاضل، ويستحسنه كلُّ أديب كامل.

وله أيضاً نثر أحسن من الدرر، ونظم أبهج من عقود الجواهر، ولو لم يكن له إلا ما تضمنته خطبته «شرح الإمام»، لشهد له من الأدب بأوفر الأقسام^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: ومما يدل على تقدم الشيخ تقي الدين في العلم: أن زكي الدين عبد العظيم بن أبي الأصبغ صاحب البديع، ذكره في كتابه فقال: ذكرت للفقير الفاضل تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري - أبقاه الله تعالى -، وهو من الذكاء والمعرفة على حالة لا أعرف أحداً في زمني عليها، وذكرت له عدة وجوه المبالغة فيها، وهي عشرة، ولم أذكرها مفصلة، وغبت عنه قليلاً ثم اجتمعتُ به، فذكر لي أنه استنبط فيها أربعةً وعشرين وجهاً من المبالغة؛ يعني في قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾،

(١) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٥ / ٣٤٩).

(٢) انظر: «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٨١).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق، (ص: ٥٨٧، ٥٨٩).

فسألته أن يكتبها لي، فكتبها لي بخطه، وسمعتها منه بقراءتي، واعترفت له بالفضل في ذلك، انتهى. قال الحافظ: وقد عاش تقي الدين بعد ابن أبي الأصبغ زيادة على أربعين سنة^(١).

وكان من العلم بحيث يقضى له من كل علم بالجميع

قلت: وهذا كله - بعد توفيق الله - نتاج همّة قعساء في إدامة

المطالعة، والمثابرة والمصابرة في تحصيل العلم، حكى الشيخ زين عمر الدمشقي المعروف بابن الكتّاني قال: دخلت عليه بكرة يوم، فناولني مجلدة وقال: هذه طالعته في هذه الليلة التي مضت^(٢).

قال الأدفوي: رأيت خزانة المدرسة «النجبية» بقوص، فيها

جملة كتب؛ من جملتها: «عيون الأدلة» لابن القصار في نحو من

ثلاثين مجلدة، وعليها علامات له، وكذلك رأيت كتب المدرسة

«السابقية»؛ رأيت على «السنن الكبير» للبيهقي فيها في كل مجلدة

علامة، وفيها «تاريخ الخطيب» كذلك، و«معجم الطبراني الكبير»،

و«البيسط» للواحدي، وغير ذلك^(٣).

وأخبر الشيخ الفقيه سراج الدين الدندري: أنه لما ظهر «الشرح

الكبير» - وهو فتح العزيز في شرح الوجيز - للرافعي، اشتراه بألف درهم،

وصار يصلّي الفرائض فقط، واشتغل بالمطالعة، إلى أن أنهاه مطالعة^(٤).

(١) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٥/ ٣٥١ - ٣٥٢).

(٢) انظر: «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٨٠).

(٣) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

(٤) المرجع السابق، الموضوع نفسه.

ثم بعد ذلك حَقَّ له أن يقول: ما خرجت من باب من أبواب الفقه واحتجت أن أعود إليه^(١).

* بلوغُ مرتبة الاجتهاد:

كان الإمام ابن دقيق - رحمه الله - من أذكي الأئمة قريحةً، وقد بلغ - رحمه الله - في العلم قرنَ الكلا^(٢)، فقال عن نفسه رحمه الله: وافق اجتهادي اجتهادَ الشافعي إلا في مسألتين. قال الصفدي: وحسبك بمن يتنزَّلُ ذهنه على ذهن الشافعي^(٣).

وقال الصَّفَدِيُّ: وما أراه إلا أنه بعثه الله تعالى على رأس المئة ليجدد لهذه الأمة دينهم^(٤).

قال الذهبي: وقد كان على رأس السبع مئة شيخنا أبو الفتح ابن دقيق العيد^(٥).

قال السُّبُكِيُّ: ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبع مئة المشار إليه في الحديث المصطفوي النبوي ﷺ، وأنه أستاذُ زمانه علماً وديناً^(٦).

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) أي: غايته وحدّه.

(٣) انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٤/١٣٨).

(٤) المرجع السابق، (٤/١٤٠).

(٥) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/٢٠٣).

(٦) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٩/٢٠٩).

وقد كُتِبَ له «بقية المجتهدين»، وقُرِئَ بين يديه، فأقرَّ عليه،
ولا شك أنه من أهل الاجتهاد، وما يُنازَعُ في ذلك إلا من هو من أهل
العناد.

ومن تأمَّلَ كلامه علم أنه أكثرُ تحقيقاً وأمتنُ، وأعلم من بعض
المجتهدين فيما تقدم وأتقن^(١).

بحسبك أني لا أرى لك عائباً سوى حاسد والحاسدون كثير

* * *

(١) انظر: «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٦٩). قلت: قال الذهبي في «السير»
(٢٠٣ / ١٤): «وإن جعلتَ (من يجدد) لفظاً يصدق على جماعة وهو أقوى»،
انتهى.

قلت: فيكون على رأس السبع مئة الإمام ابن دقيق العيد، وشيخ الإسلام ابن
تيمية، والإمام شرف الدين الدمياطي، والحافظ البرزالي، وعلم الحفاظ
المزي، ومؤرخ الإسلام الذهبي، وخاتمة المحققين ابن القيم، والإمام المفسر
ابن كثير، والفاضل المحقق ابن رجب، وغيرهم رحمهم الله.

المبحث الرابع

مشاهير شيوخه

١ - ابن المقير: الإمام المسند الصالح، رحلة الوقت، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن منصور بن المقير البغدادي الأزجي الحنبلي، كان شيخاً صالحاً، كثير التهجد والعبادة والتلاوة، وكان مشتغلاً بنفسه.

قال التّجيبّي في «مستفاد الرحلة»^(١): وهو أقدم من سمع عليه سنأ^(٢). توفي سنة (٦٤٣هـ)^(٣).

٢ - المنذري: الحافظ الكبير، والإمام الثبت النحرير، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة، أبو محمد المنذري الشامي المصري.

(١) (ص: ١٩).

(٢) فائدة: قال العراقي في «شرح الألفية» (١٦ / ٢): وكان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد لا يجيز رواية سماعه كله، بل يقيد به بما حدث به من مسموعاته. هكذا رأيت بخطه في عدة إجازات، ولم أر له إجازة تشمل مسموعه؛ وذلك أنه شك في بعض سماعاته، فلم يحدث به ولم يجزه، وهو سماعه على ابن المقير، فمن حدث عنه بإجازته منه بشيء مما حدث به من مسموعاته، فهو غير صحيح، انتهى.

قال السخاوي في «فتح المغيث» (١ / ٣٥٤): وأما امتناع ابن دقيق العيد من التحديث عن ابن المقير مع صحة سماعه منه؛ لكونه شك هل نعس حال السماع أم لا؛ فلورعه، فقد كان من الورع بمكان رحمه الله.

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١١٩ / ٢٣)، و«العبر» كلاهما للذهبي (١٧٨ / ٥)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢٤ / ٢١)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥ / ٢٢٣).

كان عديمَ النظر في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه،
عالمًا بصحيحه وسقيمه، ومعلوله وطرقه، متبحراً في معرفة أحكامه
ومعانيه ومشكله.

له تصانيف عدة منها: «الترغيب والترهيب»، و«مختصر مسلم»،
و«مختصر سنن أبي داود». قال السبكي: وبه تخرَّج أبو محمد الدِّمياطي،
وإمام المتأخرين تقي الدين ابن دقيق العيد. توفي سنة (٦٥٦هـ)^(١).

٣ - العز بن عبد السلام: شيخ الإسلام، وحيد عصره، وسُلطان
العلماء، عبد العزيز بن عبد السلام، أبو محمد السلمي الدمشقي
ثم المصري الشافعي.

برع في الفقه والأصول، ودرَّس وأفتى وصنف، وبلغ رتبة
الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة المذهب مع الزهد والورع، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلابة في الدين.

قال عنه الشيخ ابن دقيق: كان ابنُ عبد السلام أحدَ سلاطين
العلماء، ويقال: إن ابن دقيق هو أول من لقَّبه بـ: سلطان العلماء.

ويحكى أن ابن عبد السلام كان يقول: ديار مصر تفتخر برجلين
في طرفيها: ابن منيِّر بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص. توفي سنة
(٦٦٠هـ)^(١).

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨ / ٢٥٩)، و«طبقات الشافعية»
لابن قاضي شعبة (٢ / ١١١)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (١٩ / ١٠)،
و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص: ٥٠٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد
(٥ / ٢٧٧).

٤ - رشيد الدين بن العطار: الإمام الحافظ الثقة، رشيد الدين أبو الحسين يحيى بن علي بن عبدالله القرشي الأموي النابلسي المصري المالكي.

حصّل الأصول، وتقدم في الحديث، وولي مشيخة الكاملية ست سنين. وكان ثقة مأموناً، متقناً حافظاً، حسن التخريج. توفي سنة (٦٦٢هـ)^(١).

٥ - الفخر بن البخاري: مسند الدنيا، أبو الحسن علي بن أحمد ابن عبد الواحد الفخر بن البخاري السّعدى المقدسي الصالحي الحنبلي.

طال عمره، ورحل الطلبة إليه من البلاد، وألحق الأسباب بالأجداد في علو الإسناد، وقد تفرد في الدنيا بالرواية العالية.

قال الذهبي: قال شيخنا ابن تيمية: ينشرح صدري إذا أدخلتُ ابن البخاري بيني وبين النبي ﷺ في حديث. توفي سنة (٦٩٠هـ)^(٢).

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨ / ٢٠٩)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢ / ١٠٩)، و«العبر» للذهبي (٥ / ٢٦٠)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٣ / ٢٣٥).

(٢) انظر: «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٤٣)، و«العبر» كلاهما للذهبي (٥ / ٢٧١)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص: ٥٠٥)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥ / ٣١١).

(٣) انظر: «العبر» للذهبي (٥ / ٣٦٨)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢٠ / ١٢١)، و«المقصد الأرشد» لابن مفلح (٢ / ٢١٠)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥ / ٤١٤).

المبحث الخامس

مشاهير تلامذته

١ - نجم الدين بن الرِّفعة الشافعي: الإمام العلامة، أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع أبو العباس المصري الشافعي، حامل لواء الشافعية في زمانه، كان فقيهاً فاضلاً، وإماماً في علوم كثيرة، وقد أثنى عليه الإمام ابن دقيق، وكان يعظّمه، ويقول له إذا خاطبه: يا فقيه^(١). وله تصانيف لطاف؛ منها: «المطلب في شرح الوسيط» وهو أعجوبة في كثرة النصوص والمباحث، ومنها: «الكفاية في شرح التنبيه» وقد فاق به على الشروح السابقة. توفي سنة (٥٧١٠هـ) رحمه الله تعالى^(٢).

٢ - علاء الدين الباجي: الإمام الفقيه المتقن، علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطّاب الباجي المغربي المصري، إمام الأصوليين في

(١) قال السبكي: كان الإمام ابن دقيق يخاطب عامة الناس؛ السلطانَ فمن دونَه بقوله: يا إنسان، وإن كان المخاطب فقيهاً كبيراً قال: يا فقيه، وتلك كلمة لا يسمح بها إلا لابن الرفعة ونحوه.

انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/ ٢١٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٩/ ٢٤)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٦٠)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٣٣٦)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٤/ ٢٤٩)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ٢٢)، و«البدر الطالع» للشوكاني (١/ ١١٥).

زمانه، وكان عمدة في الفتوى، قال بعض أصحابه: كان لا يفتي بمسألة حتى يقوم عنده الدليلُ عليها، فإن لم ينهض عنده، قال: مذهب الشافعي كذا، أو الأصح عند الأصحاب كذا، ولا يجزم. وكان الإمام ابن دقيق العيد يقول له: يا إمام، ويخصه بها. وكان يقول أيضاً: علاء الدين الباجي يُطلق عليه عالم. توفي سنة (٥٧١٤هـ)^(١).

٣ - تاج الدين الفاكهاني: الإمام الفقيه الفاضل، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن عبد الله اللخمي الإسكندراني المالكي، صنف شرح العمدة في الأحكام^(٢)، ومهَر في العربية، وكان إماماً متفتناً في الحديث والفقه والأصول، وكان على حظ وافر من الدين المتين، والصلاح، واتباع السلف الصالح. توفي سنة (٥٧٣١هـ)^(٣).

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١٠ / ٣٣٩)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢١ / ٢٩٩)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٤ / ١٢٠)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦ / ٣٤).

(٢) سماه: «رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام»، وهو كثير النقل عن شيخه ابن دقيق في كتابه «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»، و«شرح الإمام»، وقد أكثر في ذكر المباحث والاستدلالات من «شرح الإمام» خصوصاً، وتارة يذكر شيخه باسمه، وتارة يرمز له بحرف (ق)، والكتاب كثير الفوائد، جم العوائد. وقد قارب الأخ والشيخ الفاضل نور الدين طالب من إنهاء تحقيقه وإخراجه إلى حيز المطبوع، نسأل الله له التوفيق والسداد.

(٣) انظر: «البدية والنهاية» لابن كثير (١٤ / ١٦٨)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٤ / ٢٠٩)، و«الديباج المذهب» لابن فرحون (ص: ١٨٦)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦ / ٩٦).

٤ - ابن سيّد الناس : الحافظ العلامة المتفنن، والأديب المشهور،

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو الفتح فتح الدين اليعمري الشافعي . لازم ابن دقيق، وتخرج عليه في أصول الفقه، وأعاد عنده، وكان يحبه ويؤثره، ويسمع كلامه ويثني عليه، ويركن إلى نقله، قال عماد الدين بن القيسراني : كان ابن دقيق إذا حَضَرْنَا درسه، وجاء ذكر أحد من الصحابة والرجال قال: أيش ترجمة هذا يا أبا الفتح؟ فيأخذ في الكلام ويسرد، والناس سكوت، والشيخ مُصْغٍ إلى ما يقول.

قال الأُدْفُوي: وشرع لشرح الترمذي، ولو اقتصر فيه على فن الحديث من الكلام على الأسانيد لكمل، لكنه قصد أن يتبع شيخه ابن دقيق العيد، فوقف دون ما يريد. توفي سنة (٧٣٤هـ)^(١).

٥ - قطب الدين الحلبي : الحافظ المتقن المقرئ المجيد، عبد

الكريم بن عبد النور بن منيّر، أبو علي الحلبي ثم المصري، مفيد الديار المصرية، كان كيساً متواضعاً، غزير المعرفة، متقناً لما يقول، اختصر كتاب «الإمام» لابن دقيق في كتاب سماه

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٩ / ٢٦٨)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢ / ٢٩٥)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٥ / ٤٧٦)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (١ / ٢١٩)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص: ٥٢٣)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦ / ١٠٨).

«الاهتمام»، وهو حسنٌ خالٍ عن الاعتراضات الواردة على «الإمام» مع الإثبات لما فيه^(١). وشرح سيرة عبد الغني، وشرح معظم صحيح البخاري. توفي سنة (٥٧٣٥هـ)^(٢).

٦ - المزي: الإمام العلامة، الحافظ الكبير، وعمدة الحفاظ، أعجوبة الزمان، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي الشافعي. قال الذهبي: كان خاتمة الحفاظ، وناقد الأسانيد والألفاظ، وهو صاحب معضلاتنا، وموضح مشكلاتنا، وكان محباً للآثار، معظماً لطريقة السلف.

وله تصانيف تدل على سعة علمه، وحسن معرفته، ولو لم يكن له إلا «تهذيب الكمال» لكفاه. توفي سنة (٥٧٤٢هـ)^(٣).

٧ - الذهبي: الحافظ الكبير، مؤرخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي، كان علامة زمانه في الرجال وأحوالهم، حديد الفهم، ثاقب الذهن، جمع «تاريخ الإسلام» فأرby

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٦ / ٢٤٩). وقد طبع كتابه بمؤسسة الكتب الثقافية ببيروت سنة (١٤١٠هـ)، بإشراف حسام رياض.

(٢) انظر: «المعجم المختص» للذهبي (ص: ١٠٦)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٣ / ١٩٨)، و«طبقات الحنفية» لابن أبي الوفاء (ص: ٣٢٥)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص: ٥٢٣)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦ / ١١٠).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١٠ / ٣٩٥)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٦ / ٢٢٨)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص: ٥٢١)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦ / ١٣٦).

فيه على من تقدم بتحرير أخبار المحدثين خصوصاً، واختصر منه مختصرات كثيرة منها: «العبر»، و«سير أعلام النبلاء»، و«تذكرة الحفاظ»، و«طبقات القراء»، وغير ذلك. قال رحمه الله عن نفسه: «والجماعة يتفضلون ويشنون عليه، وهو أخبرٌ بنفسه في العلم، والله المستعان ولا قوة إلا به، وإذا سلم لي إيماني فيا فوزي». توفي سنة (٧٤٨هـ)^(١).

* * *

(١) انظر: «المعجم المختص» له (ص: ٧١)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٩ / ١٠٠)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٥ / ٦٦)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٢ / ١١٤)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص: ٥٢١).

قلت: والذهبي رحمه الله كثير الاعتداد بأقوال شيخه ابن دقيق رحمه في علم الحديث والمصطلح، فتراه كثيراً ما يقول: قال شيخنا ابن دقيق، أو شيخنا أبو الفتح، وغير ذلك.

ومن طريف ما يذكر في ابتداء تتلمذ الإمام الذهبي على الإمام ابن دقيق ما ذكره السبكي في ترجمة الذهبي من «طبقات الشافعية» (٩ / ١٠٢) قال: لما دخل الذهبي إلى شيخ الإسلام ابن دقيق العيد - وكان المذكور شديد التحري في الإسماع - قال له: من أين جئت؟ قال: من الشام، قال: بم تُعرف؟ قال: بالذهبي، قال: من أبو طاهر الذهبي؟ فقال له: المختلص، فقال: أحسنت. فقال: من أبو محمد الهلالي؟ قال: سفيان بن عيينة، قال: أحسنت، اقرأ، ومكَّنه من القراءة عليه حيثنذ؛ إذ رآه عارفاً بالأسماء.

المبحث السادس تصانيف

صنّف الإمام ابنُ دقيق العيد التصانيفَ البديعة المفيدة، الدالّة على سعة علمه، أتى فيها بكثير من الفروع الغريبة، والوجوه والأقاويل، مما ليس في كثير من المبسوطات، ولا يعرفه كثيرٌ من النّقلة^(١)، ومن أشهر هذه المؤلفات:

١ - «الإمام في معرفة أحاديث الأحكام»:

وهو كتاب لا نظير له في جمع طرق الحديث على الأبواب الفقهية، وجمع شواهد، وشرح غريبه، وضبط مشكله.

قال عنه مؤلّفه رحمه الله: ما وقفت على كتاب من كتب الحديث وعلومه المتعلقة به، سُبِقَتْ بتأليفه وانتهى إليّ، إلا وأودعت منه فائدة في هذا الكتاب، إلا ما كان من كتاب «التاريخ الكبير» للإمام أبي عمر الصّدفي، فإنني لم أراه^(٢).

وقال عنه أيضاً: أنا جازم أنه ما وضع في هذا الفنّ مثله^(٣).

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: هو كتاب الإسلام.

(١) انظر: «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٨١).

(٢) انظر: «مقدمة الإمام في معرفة أحاديث الأحكام» (١ / ٥٢) نقلاً عن «ملء العيبة» لابن رُشيد (٣ / ٢٦٠).

(٣) «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٧٥).

وقال أيضاً: ما عمل أحدٌ مثله، ولا الحافظ الضياء، ولا جدِّي أبو البركات^(١).

وقال عنه تاج الدين السُّبكي: ومن مصنفاته كتاب «الإمام» في الحديث، وهو جليل حافل، لم يُصنَّف مثله^(٢).

ويقال: إن أكثر الكتاب قد عُدِم - حسداً - بعده، ولم يبق منه إلا الجزء الأول من الطهارة.

ويقال: إن ابن دقيق لم يبيض منه إلا القطعة الموجودة بين يدي الناس.

قال الأُدْفوي: لو كملت نسخته في الوجود، لأغنت عن كل مُصنَّف في ذلك موجود^(٣).

٢ - «الإمام بأحاديث الأحكام»:

وهو من أجلّ كتاب وضع في أحاديث الأحكام، يحفظه المبتدئ المستفيد، وينظر فيه الفقيه المفيد^(٤).

قال عنه المؤلف رحمه الله: صنفت مختصراً لتحفيظ الدارسين، وجمعت رأس مال لإنفاق المدرسين^(٥).

(١) المرجع السابق، (ص: ٥٧٥ - ٥٧٦).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٩ / ٢١٢).

(٣) انظر: «الطالع السعيد» للأدْفوي (ص: ٥٧٥). هذا وقد اضطلع الشيخ الفاضل سعد بن عبدالله آل حميد بأعباء تحقيقه، وأخرج القطعة الموجودة منه في أربع مجلدات مجوّدات.

(٤) انظر: «الاهتمام بتلخيص كتاب الإمام» لقطب الدين الحلبي (ص: ٥).

(٥) انظر: (١ / ٦) من هذا الكتاب.

وقال: وشرطي فيه ألا أوردَ إلا حديثَ من وثقه إمامٌ من مُزَكِّي
رواة الأخبار، وكان صحيحاً على طريقة بعض أهل الحديث الحفاظ،
أو بعض أئمة الفقهاء النظَّار، فإن لكل منهم مغزى قصده وسلكه،
وطريقاً أعرض عنه وتركه، وفي كل خير^(١).

قال الأدفوي: وكان كتابه «الإمام» حاز على صغر حجمه من
هذا الفن جملة من علمه^(٢).

قال السبكي: واعلم أن الشيخ تقي الدين - رضي الله عنه - توفي
ولم يبيِّض كتابه «الإمام»، فلذلك وقعت فيه أماكن على وجه الوهم
وسبق الكلام^(٣).

قال الحافظ قطب الدين الحلبي في كتابه «الاهتمام بتلخيص
كتاب الإمام»: وكان شيخنا - رحمه الله - لما جمع كتاب «الإمام»،
أملاه على من لم يكن الحديث من شأنه، وتارة كان يكتبه في أوراق
بخطه، وكان خطه معلقاً، ويعطيه للنساخ، فيكتب كلُّ إنسان من
النساخ ما قدر عليه، فبسبب ذلك وقع في كتاب «الإمام» مواضع لم
يصوبها النساخ، ولم تُقرأ على الشيخ بعد ذلك. قال: وصححت في
هذا التلخيص ما قدرت من ذلك^(٤).

(١) انظر: مقدمة خطبته لهذا الكتاب (١ / ٢٦).

(٢) انظر: «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٧٦).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٩ / ٢٤٦).

(٤) انظر: «الاهتمام» له (ص: ٧).

كما اختصر الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي كتاب «الإمام» في كتابه الموسوم بـ«المحرر في الحديث»، فجوّده جداً^(١).

٣ - «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»:

وهو من أجلّ شروح «عمدة الأحكام» للحافظ عبد الغني المقدسي، إن لم يكن أجلّها على الإطلاق؛ لِمَا اشتمل عليه من مباحث دقيقة، واستنباطات عجيبة.

قال الأدفوي: ولو لم يكن له إلا ما أملاه على «العمدة»، لكان عمدة في الشهادة بفضلها، والحكم بعلو منزلته في العلم ونُبُلُه^(٢).

وقال ابن فرحون: أبان فيه عن علم واسع، وذهن ثاقب، ورسوخ في العلم^(٣).

(١) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٥ / ٦٢).

* فائدة: ذكر الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» (١ / ٢٥٩) أن المحدث شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العرياني المتوفى سنة (٧٧٨هـ) قد شرح «الإمام» لابن دقيق العيد.

وذكر السخاوي في «الضوء اللامع» (٩ / ٣٠٧) أن الحافظ تاج الدين محمد ابن محمد الكركي الغرابيلي المتوفى سنة (٨٣٥هـ) قد شرع في «شرح الإمام».

وذكر السخاوي أيضاً (١٠ / ٣٠٩) أن الشيخ يوسف بن الحسن، أبو المحاسن الحموي الشافعي، المعروف بابن خطيب المنصورية المتوفى سنة (٨٠٩هـ) قد شرح كتاب «الاهتمام بتلخيص الإمام» في ست مجلدات.

(٢) انظر: «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٧٥).

(٣) انظر: «الديباج المذهب» لابن فرحون (ص: ٣٢٥).

٤ - «شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه»:

وقد شرحه شرحاً عظيماً حتى قال الحافظ قطب الدين الحلبي: لم أر في كتب الفقه مثله^(١)، قال فيه في مقدمته: وحق أن نشرح هذا الكتاب شرحاً يُعين الناظرين على فكِّ لفظه، وفهم معانيه على وجه يسهل للماهر مساغه وذوقه، ويرفع القاصد فيلحقه بدرجة من هو فوقه، ويسلك سبيل معرفته ذللاً، ويدرك به ناظره من وضوحه أملاً^(٢).

قال ابن فرحون: ذكر لي شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق: أنه بلغه أن الشيخ تقي الدين وصل في شرح ابن الحاجب إلى كتاب الحج. والذي وقع لي منه إلى آخر التيمم، وأظنه بلغ إلى كتاب الصلاة^(٣).



(١) انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤ / ١٤٨٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٩ / ٢٣٧). وقد أثبت السبكي خطبة ومقدمة الإمام ابن دقيق لكتابه هذا، وفيها تظهر المَلَكَة الأدبية والعلمية لهذا الإمام، وهي حقيقة بالقراءة والمطالعة، فلتنظر في موضعها للإفادة منها.

(٣) انظر: «الديباج المذهب» لابن فرحون (ص: ٣٢٥). وللإمام ابن دقيق رحمه الله غير ذلك من المؤلفات النافعة، فمن أراد الوقوف على أسماء مؤلفاته مجموعة، فليُنظر مقدمة الدكتور عامر حسن صبري لكتاب «الاقتراح»، والله ولي التوفيق.

البحث السابع

شأن الأئمة والعلماء عليه

١ - قال البرزالي: مجمع على غزارة علمه، وجودة ذهنه، وتفننه في العلوم، وهو خبير بصناعة الحديث، عالم بالأسماء والمتون واللغات والرجال، وله اليد الطولى في الأصلين والعربية والأدب^(١).

٢ - قال ابن الزمكاني: إمام الأئمة في فنه، وعلامة العلماء في عصره، بل ولم يكن من قبله من سنين مثله في العلم والدين والزهد والورع، تفرد في علوم كثيرة، وكان يعرف التفسير والحديث، وكان يحقق المذهبين تحقيقاً عظيماً، ويعرف الأصلين والنحو واللغة، وإليه النهاية في التحقيق والتدقيق والغوص على المعاني، أقرّ له الموافق والمخالف، وعظّمته الملوك، وكان صحيح الاعتقاد، قوياً في ذات الله، وليس الخبر كالعيان^(٢).

٣ - قال ابن سيد الناس: لم أر مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجلّ منه فيما رأيت ورويت، وكان للعلوم جامعاً، وفي فنونها بارعاً، مقدّماً في معرفة علل الحديث على أقرانه، منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه، بصيراً بذلك، سديد النظر في تلك المسالك، بأذكي المعية، وأزكى لودعية، لا يُشق له غبار، ولا يجري معه سواه في مضمار،

(١) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٥/٣٤٩).

(٢) المرجع السابق، (٥/٣٥٠).

وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب، وفكر يفتح له ما يستغلق على غيره من الأبواب، مستعيناً على ذلك بما رواه من العلوم، مستيناً ما هنالك بما حواه من مدارك الفهوم، مُبرِّزاً في العلوم النقلية والعقلية، والمسالك الأثرية، والمدارك النظرية^(١).

٤ - قال قطب الدين الحلبي: كان ممن فاق بالعلم والزهد، عارفاً بالمذهبيين، إماماً في الأصلين، حافظاً في الحديث وعلومه، يُضرب به المثل في ذلك، وكان آيةً في الإتقان والتحري، شديد الخوف، دائم الذكر^(٢).

٥ - قال الذهبي: قاضي القضاة، شيخ الإسلام، كان إماماً عديم النظر، ثخين الورع، متين الديانة، متبحراً في العلوم، قلَّ أن ترى العيون مثله^(٣).

وقال أيضاً: الإمام الفقيه المجتهد، المحدث الحافظ العلامة، شيخ الإسلام^(٤).

٦ - قال الأُدُفُوي: الشيخ الإمام، علامة العلماء الأعلام، وراوية فنون الجاهلية وعلوم الإسلام، ذو العلوم الشرعية، والفضائل

(١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٩ / ٢٠٧)، و«الطالع السعيد» للأدُفُوي (ص: ٥٦٩).

(٢) انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤ / ١٤٨٢)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٥ / ٣٤٩).

(٣) انظر: «المعجم المختص» للذهبي (ص: ١٦٨).

(٤) انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤ / ١٤٨١).

العقلية، والفنون الأدبية، والباع الواسع في استنباط المسائل، والأجوبة الشافية لكل سائل، والاعتراضات الصحيحة التي يجعلها الباحث لتقرير الإشكالات وسائل، والخُطْبُ الصاعدة الفصيحة البليغة التي تُستفاد منها الرسائل^(١).

٧ - قال تاج الدين السبكي: الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، الحافظ الزاهد الورع النَّاسِك، المجتهد المُطَلَّق، ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة، الجامع بين العلم والدين^(٢).

٨ - قال ابن كثير: الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ، قاضي القضاة، انتهت إليه رياسة العلم في زمانه، وفاق أقرانه، ورحل إليه الطلبة^(٣).

٩ - قال الصَّفَدِي: الشيخ الإمام العلامة، شيخ الإسلام، أحد الأعلام، قاضي القضاة، كان إماماً متفنناً محدثاً مجوداً، فقيهاً مدققاً أصولياً، أديباً نحويّاً شاعراً ناثراً، ذكياً، غَوَّاصاً على المعاني، مجتهداً، قلَّ أن ترى العيون مثله^(٤).

١٠ - قال ابن ناصر الدين الدمشقي: الحافظ العلامة الإمام، أحد شيوخ الإسلام، كان إماماً حافظاً فقيهاً مالِكياً شافعيّاً، ليس له

(١) انظر: «الطالع السعيد» للأدفوي (ص: ٥٦٨).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٢٠٧/٩).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٢٧/١٤).

(٤) انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (١٣٧/٤).

نظير، وكان آية في الإتيان والتحري والتحريم^(١).
١١ - قال السيوطي: الإمام الفقيه الحافظ، المحدث العلامة،
المجتهد، شيخ الإسلام^(٢).

* * *

(١) انظر: «التبيان لبديعة البيان» لابن ناصر الدين (٣/١٤٣٨).

(٢) انظر: «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص: ٥١٦).

المبحث الثامن

وفات

وما زال - رحمه الله - في علم يرفعه، وتصنيف يضعه، ومرويّ يُسمعه، حتى وافته المنية بالقاهرة المحمية بإذنه تعالى، يوم الجمعة من شهر صفر سنة (٥٧٠٢هـ).

ودفن من يوم السبت بسفح المقطم، وكان ذلك يوماً مشهوداً، عزيزاً مثله في الوجود، سارع الناس إليه، ووقف جيش ينتظر الصلاة عليه، ورثاه جماعة من الفضلاء والأدباء، رحمه الله تعالى.

* * *

المبحث التاسع

مصادر الترجمة

- ١ - «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤ / ١٤٨١).
- ٢ - «المعجم المختص» للذهبي (ص : ١٦٨).
- ٣ - «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٩ / ٢٠٧).
- ٤ - «مستفاد الرحلة والاغتراب» للتجبيبي (ص : ١٦).
- ٥ - «الطالع السعيد» للأدْفُوي (ص : ٥٦٧).
- ٦ - «الوافي بالوفيات» للصفدي (٤ / ١٣٧).
- ٧ - «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤ / ٢٧).
- ٨ - «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢ / ٢٣٠).
- ٩ - «الديباج المذهب» لابن فرحون (ص : ٣٢٤).
- ١٠ - «شجرة النور الزكية» لابن مخلوف (١ / ١٥٨).
- ١١ - «الدرر الكامنة» لابن حجر (٥ / ٣٤٨).
- ١٢ - «رفع الإصر عن قضاة مصر» لابن حجر (ص : ٣٩٤-٤٠٣).
- ١٣ - «التبيان لبديعة البيان» لابن ناصر الدين (٣ / ١٤٣٨).
- ١٤ - «ذيل التقييد» لتقي الدين الحسيني الفاسي (ص : ١٩١).
- ١٥ - «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص : ٥١٦).
- ١٦ - «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي (٢ / ٤٠١).

- ١٧ - «مرآة الجنان» لليافعي (٢٣٦ / ٤).
- ١٨ - «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٧٩ / ٨).
- ١٩ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٥ / ٦).
- ٢٠ - «البدر الطالع» للشوكاني (٢٢٩ / ٢).
- ٢١ - «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١ / ١٣٥ ، ١٥٨ ، ٤١٧)،
(٢ / ١١٥٧ ، ١١٦٤ ، ١١٦٩ ، ١١٧٦ ، ١٨٥٦)
- ٢٢ - «الأعلام» للزركلي (٢٨٣ / ٦).
- ٢٣ - «معجم المؤلفين» لكحالة (٧٠ / ١١).

* ومن الدراسات الحديثة عن الإمام ابن دقيق رحمه الله ومؤلفاته:

- ١ - «ابن دقيق العيد، حياته وديوانه»، علي صافي حسين، رسالة ماجستير، مقدمة في قسم الآداب بجامعة القاهرة سنة (١٩٦٠م)، ثم طبعت بعد بدار المعارف بالقاهرة.
- ٢ - «الاقتراح في بيان الاصطلاح»، علي إبراهيم يحيى، رسالة ماجستير، مقدمة في قسم السنة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.
- ٣ - «الاقتراح في بيان الاصطلاح»، د عامر حسن صبري، رسالة ماجستير، مقدمة في كلية الشريعة بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة سنة (١٤٠٢هـ)، ثم طبعت بعد بدار البشائر الإسلامية ببيروت^(١).
- ٤ - «آراء ابن دقيق العيد الأصولية في إحكام الأحكام»، خالد محمد العروسي، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى.

(١) وقد تكلم في دراسته لحياة المؤلف رحمه الله بإجادة وإفادة.

٥ - «القواعد الأصولية من خلال شرح الإمام بأحاديث الأحكام» للأخ أحمد خليفة الشرقاوي، رسالة ماجستير، مقدمة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قسم أصول الفقه سنة (١٤٢٦هـ)^(١).

٦ - «أصول الفقه عند ابن دقيق العيد من خلال كتابه إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام وشرح الإمام»، تأليف عمر محمد سيد عبد العزيز، طبعة دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي سنة (٢٠٠٧م)^(٢).

٧ - «شرح الإمام بأحاديث الأحكام»، عبد العزيز السعيد، رسالة ماجستير، مقدمة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، واشتملت على تحقيق (٥٥) لوحة من أصل الكتاب البالغ عدد لوحاته (٣٠٩)، وقد طبعت بدار أطلس بالرياض سنة (١٤١٨هـ)، (١٩٩٧م).

٨ - ترجمة ابن دقيق العيد، صلاح الدين علي عبد الموجود، طبعة دار السلام.

(١) وقد وقفت عليها، فرأيت صاحبها قد أحسن في الجمع والدراسة للقواعد الأصولية التي تكلم عنها الإمام ابن دقيق في «شرح الإمام».

(٢) كنت قد وقفت على هذا الكتاب، فوجدت كاتبه قد نقل فصلاً بحروفها عن غيره دون عزوها لأصحابها، فنقل جلاً الترجمة للإمام ابن دقيق عن مقدمة الدكتور عامر حسن صبري في كتاب «الاقتراح»، ومقدمة الشيخ سعد آل حميد في كتاب «الإمام».

٩ - «ابن دقيق العيد شيخ علماء الصعيد في القرن السابع الهجري»،
أحمد موسى القوصي، سنة (١٩٦٦م).

١٠ - «ابن دقيق العيد، عصره، حياته، علومه، وأثره في
الفقه»، محمد رامز، عبد الفتاح العزيمي، دار البشير،
عمان، ١٩٩٠م.



الفصل الثاني
دراسة الكتاب

رَبِّهِمُ الْأَوَّلُ

تحقيق اسم الكتاب

وقع في اسم هذا الشرح خلط كبير عند كثير من المترجمين للإمام ابن دقيق والمصنفين، فذكر جمع: منهم الصفدي، وابن قاضي شُهبة، وابن العماد، وحاجي خليفة، وغيرهم أن اسمه: «الإمام في شرح الإمام»، وما زال هذا الاسم شائعاً منتشراً عند كثير من العلماء والطلبة حتى وقتنا هذا.

ولعلَّ السبب في ذلك المؤلفات الثلاثة التي صنفها الإمام ابن دقيق، وتداخل أسمائها ومضامينها، وهي: «الإمام في معرفة أحاديث الأحكام»، و«الإمام بأحاديث الأحكام»، و«شرح الإمام بأحاديث الأحكام»، مما أدخل كثيراً من المصنفين والطلبة في التخليط بينها والعزو إليها.

وقد حرَّرَ الحافظ ابن حجر في «رفع الإصر» (ص: ٣٩٥) هذا الإشكال، وأنهى في هذا الباب السَّجَال، فقال في ترجمة الإمام ابن دقيق رحمه الله: قرأت بخط صاحبنا الشيخ جمال الدين بن عبدالله بن أحمد البشبيشي الشاهد: أخبرني قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء، عن والده، عن أبي حيان النحوي: أن ابن دقيق العيد أكمل «شرح الإمام»، وأنه جاء في نحو ستين سِفرًا، أو أكثر من ذلك، وأن بعض المالكية حقد عليه انتقاله عن مذهب مالك، وحسد الشافعية

كيف صار منهم، وأنه ارتصد غيبة الشيخ، فصادف فرصة، فأخذ الكتاب، فوضعه في فسقية الصالحية، فلما فقد الشيخ الكتاب تألم، وأصبح الناس، فرأوا ماء الفسقية أسود، فبحثوا عن ذلك، فوجدوا الكتاب داخل الفسقية، وأن القطعة الموجودة بأيدي الناس كان بعض الطلبة انتسخها.

قال الحافظ ابن حجر: وفي سياق هذه القصة مجازفات كثيرة، ولقد كنت أسمع شيخنا حافظ العصر أبا الفضل ابن الحسين - يعني: العراقي - يحكي أن الشيخ أكمل «الإمام» فجاء في عشرين مجلداً، وأن بعض المحدثين حسده عليه، فترقّب وفاته، فأخذ الكتاب فأعدمه.

قال الحافظ: وصاحبنا جمال الدين لم يفرق بين «الإمام» وبين «شرح الإمام»، كأنه كغيره من الطلبة يظن أن «الإمام»: «شرح الإمام»، وليس كذلك، ف «الإمام» كتاب في أحاديث الأحكام على الأبواب، وكان استمداد «الإمام» منه؛ والموجود منه قطعة نحو الربع، لكنها مفرقة، وأكثرها من ربع العبادات، وليس فيها شيء من الاستنباط، وإنما يذكر علل الحديث كثيراً، وأما «شرح الإمام» فهو الذي يوجد منه قطعة من أول الطهارة، انتهى.

ومما يؤكد كلام الحافظ رحمه الله: أن المؤلف لم يذكر اسماً لشرحه هذا في مقدمة خطبته للكتاب؛ إذ قال (ص: ٦): هذا ولما خرج ما أخرجه من كتاب «الإمام في معرفة أحاديث الأحكام»، وكان وضعه مقتضياً للاتساع، ومقصوده موجباً لامتداد الباع، عدل قوم عن

استحسان إطبائه إلى استخشان إطالته، ثم قال (ص: ٧ - ٨): غير أن ذلك الكتاب كتاب مطالعة ومراجعة عند الحاجة إليه، لا كتاب حفظ ودرس يُعتكف في التكرار عليه، فصنفت مختصراً لتحفيظ الدارسين، وجمعت رأس مال لإنفاق المدرسين، وسميته بـ«الإمام بأحاديث الأحكام». ثم قال: وهذا التعليق الذي نشرع فيه الآن بعون الله، فنشرح ما فيه من السنن على وجوه نقصدها، ومقاصد نعتمدها، انتهى.

هذا ولم يذكر الحافظ قطب الدين الحلبي ولا الإمام الذهبي، وكذا الأُدُوي، وابن حجر - كما سلف - والسخاوي اسماً لشرح ابن دقيق العيد هذا.

فالصواب في اسم الكتاب - إن شاء الله - هو ما وضع على طرة هذا الكتاب: «شرح الإمام بأحاديث الأحكام»، والله أعلم، وهو سبحانه ولي التوفيق^(١).

* * *

(١) انظر للاستزادة والتفصيل عن مؤلفات الإمام ابن دقيق العيد الثلاثة وتحرير الكلام عنها: مقدمة الشيخ سعد بن عبد الله آل حميد لكتاب «الإمام» (ص: ٢٣ - ٣١).

البحث الثاني بيان صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف

إن شهرة هذا الشرح عند العلماء، وكثرة الناقلين والآخذين عنه تغني عن بيانات إثبات صحته إلى مؤلفه، فهذا الفاكهاني قد ملأ كتابه «رياض الأفهام في شرح عمدة أحاديث الأحكام» في الأخذ عن المؤلف المباحث الفقهية والأصولية واللغوية، وهذا الزركشي قد نقل في كتابه «البحر المحيط» فصلاً أصولية وتحقيقات كثيرة، وكذا العراقي في «طرح التثريب»، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري».

وقد كنت أنبه في أكثر الأحيان إلى الآخذين والناقلين عنه في تعليقاتي على هذا الشرح. أضف إلى ذلك:

- ١ - ذكر المؤلف لعدد من مصنفاته والإحالة إليها، كالإمام، والإمام، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، وشرح مختصر ابن الحاجب.
- ٢ - ذكر المؤلف لعدد من شيوخه في الكتاب؛ كوالده رحمه الله، والحافظ المنذري، والعز بن عبد السلام، وغيرهم.
- ٣ - إثبات السبكي مقدمة هذا الكتاب في «طبقات الشافعية»^(١)، وكذا الأدفوي في «الطالع السعيد»^(٢).

(١) انظر: (٢٣٠ / ٩).

(٢) انظر: (ص: ٥٨٧).

وأخيراً: فإن الاستنباطات الفقهية، والمباحث الحديثية والأصولية المنثورة في هذا الشرح لا تتأتى إلا من أمثال الإمام ابن دقيق رحمه الله، وهي تتناسب مع ملكته الاجتهادية، وقدرته العلمية، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

* * *

البحث الثالث منهج المؤلف في الكتاب

قدّم المؤلف - رحمه الله - لشرحه هذا بمقدمة بالغة في الإجادة، ما وقف عندها أحد إلا اندهش، وطال تعجبُه، ذكر فيها منزلة الفقه في الدين، وتقديم النص على كل ما يخالفه من الأقيسة والأقاويل، ثم ذكر الوجوه والمقاصد التي اعتمدها في شرح الحديث.

ثم بعد ذلك تكلم عن خطبة كتابه «الإلمام بأحاديث الأحكام»، وشرحها شرحاً مفصلاً مبيّناً.

وبعد ذلك شرع في شرح أحاديث كتابه «الإلمام» على حسب وضعها وترتيبها.

وقد أبان - رحمه الله - عن الوجوه التي يتكلم عنها في شرح الحديث، وأنا أجملها في خلاصة ثم أفصلها بعد ذلك، والوجوه هي:

١ - التعريف بمن ذكر من رواة الحديث من الصحابة وغيرهم والمخرجين له.

٢ - تصحيح الحديث.

٣ - الإشارة أحياناً إلى سبب اختيار الرواية في الباب.

٤ - تفسير شيء من مفردات الألفاظ الحديث.

٥ - إيراد شيء من علم الإعراب أحياناً.

- ٦ - ذكر شيء من علم البيان والبدیع أحياناً .
- ٧ - الكلام عن الفوائد والمباحث المستنبطة من الحديث .
- ٨ - الإعراض عن إيراد مسائل لا تستنبط من ألفاظ الحديث .
- ٩ - تهذيب كثير من كلام الشارحين للحديث والتحقيق فيه ،
والاستدراك عليه أحياناً .
- ١٠ - جلب الفوائد المتبددة في كتب الأحكام والشروح .
- ١١ - عدم التعصب في كل ذلك لمذهب معين ، وذكر ما استدل به
أصحاب المذاهب لمذاهبهم ، أو يمكن أن يستدل به لهم ، ثم
التحقيق في ذلك .
- هذا ما عقده المؤلف - رحمه الله - وعزم عليه في شرحه
للأحاديث ، وهي ترجع إلى أربع صناعات قد أتقنها الإمام ابن دقيق
رحمه الله وبرع فيها وهي :
- ١ - الصناعة الحديثية .
 - ٢ - الصناعة الأصولية .
 - ٣ - الصناعة الفقهية .
 - ٤ - صناعة العربية .
- وسأتكلم عن كل واحدة منها من خلال شرحه هذا .
أولاً : الصناعة الحديثية :
- ويتعلق بها الوجوه الثلاثة الأولى المذكورة التي بدأ بها في
خطته ، وهي :

الوجه الأول: التعريف بمن ذكر من رواة الحديث والمخرجين له، والتكلم فيما يتعلق به على وجه الاختصار.

الوجه الثاني: التعريف بوجه صحته، إما على جهة الاتفاق أو الاختلاف، على وجه الإيجاز أيضاً.

الوجه الثالث: الإشارة أحياناً إلى بعض المقاصد في الاختيار، لِمَ الاختيار عليه؟

أما الوجه الأول: فقد ترجم المؤلف - رحمه الله - لرواة الحديث من الصحابة والتابعين وأتباعهم على حسب ما ذكر في الأصل وهو «الإمام»، ثم الترجمة لمخرجي الحديث.

ويبدأ الترجمة بذكر اسم المترجم ونسبه، وأسماء الآخذ منهم، والآخذين عنه، ويذكر بعض مناقبه وأقواله أحياناً، ثم يذكر عدد أحاديثه أحياناً أيضاً، ثم يختم بسنة وفاته.

وإن كان الراوي من غير الصحابة متكلماً فيه أو مغموزاً، ذكر فيه أقوال أهل العلم في جرحه أو تعديله، وتوثيقه أو توهينه.

وكان في كل ذلك ينوع في مراجع الترجمة ومصادرها التي ذكرها.

وأما الوجه الثاني: فقد شرط المؤلف - رحمه الله - في خطبة الأصل (١ / ٢٤): «ألا يورد إلا حديث من وثقه إمام من مزكّي رواة الأخبار، وكان صحيحاً على طريقة بعض أهل الحديث الحفاظ، أو بعض أئمة الفقهاء النظّار».

ثم شرح ذلك فقال: «اعتبر هذا الشرط، ولم يشترط الاتفاق من الطائفتين؛ لأن ذلك الاشتراط يضيق به الحال جداً، ويوجب تعذر الاحتجاج بكثير مما ذكره الفقهاء؛ لعسر الاتفاق على وجود الشروط المتفق عليها، ولأن الفقهاء قد اعتادوا أن يحتجوا بما هو نازل عن هذه الدرجة، فرجوعهم إلى هذه الدرجة ارتفاع عما قد يعتادونه، فهو أولى بالذكر، ولأن كثيراً مما اختلف فيه من ذلك يرجع إلى أنه قد لا يقدر عند التأمل في حق كثير من المجتهدين، فالإقتصار على ما أجمع عليه تضييعٌ لكثير مما تقوم به الحجة عند جمع من العلماء، وذلك مفسدة، ولأنه بعد أن يوثق الراوي من جهة بعض المزيكين، قد يكون الجرح مبهماً غير مفسر، ومقتضى قواعد الأصول عند أهله أن لا يقبل الجرح إلا مفسراً، فترك حديث من هو كذلك تضييع أيضاً، ولأنه إذا وثق، قد يكون القدر فيه من غير الموثق بأمر اجتهادي، فلا يساعده عليه غيره».

ومن أمثلة ذلك عند المؤلف رحمه الله:

قوله في الحديث الخامس من باب الطهارة: وقد ذكرنا أن الترمذي صححه، فحصل شرطنا، وبسطنا القول في رواية عكرمة وسماك.

وكذا قوله في الحديث العاشر من باب الوضوء عند الكلام عن تصحيح حديث: «الأذنان من الرأس» المروي من طريق سنان ابن ربيعة، عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة، به. قال: قد تقدم التعريف بحال روايته، وأنه ليس فيهم إلا من وثق، فحصل شرطنا.

ثم قال: وعلى الجملة فإن توقف تصحيحه عند أحد على ذكر طريق لا علة فيها، ولا كلام في أحد من رواتها، فقد يتوقف في ذلك؛ لأن اعتبار ذلك صعب ينتقض عليهم في كثير مما استحسناه وصححوه من هذا الوجه، فإن السلامة من الكلام في الناس قليل، ولو شرط ذلك، لما كان لهم حاجة إلى تعليل الحسّن بالتضافر والمتابعة، والمجيء من طرق أو وجوه، فيتقلب النظر، وتتناقض العبر، ويقع الترتيب، أو يُخاف التعذيب.

ثم قال: وما ذكرته عرض عليك، لا التزام أتقلد عهدته، وفي كلامي ما يشير إلى المقصود.

وكذا قوله في الحديث السادس عشر من باب الوضوء: وقد ذكرنا أن البيهقي قال: إنه إسناد صحيح، فحصل شرطنا في ذكره في الكتاب.

وأما الوجه الثالث: فقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب (١٨ / ١ - ١٩) كيفية إيراد الأحاديث، والمقاصد التي يقصدها من وراء إيرادها، فذكر منها:

١ - أنه لا يذكر أحاديث متعددة للدلالة على حكم واحد إلا لمعارض.

٢ - الاكتفاء بآتم الحديثين وأكثرهما فائدة عن أقلهما، أو لدخول مدلوله تحت الأعم فائدة، وقد يقوم في مثل هذا معارض، وهو أن يكون الحديث الأقل فائدة، هو الحديث المشهور، أو المخرج في «الصحيحين» فيذكر لذلك، ويُتبع بالحديث الذي فيه

الزيادة، فإنَّ إهمالَ ما في «الصحيحين» وما اشتهر بين العلماء الاستدلالُ به غير مستحسن، وربما أوقع إهماله وذكرُ غيره من الكتب الخارجة عيباً في الاختيار عند من لم يفهم المقصود، وربما اكتفى بالزائد لمعارض آخر.

٣ - أن الحديث الذي يستدل به قد يكون مطولاً في الصحاح أو في الكتب المشهورة، ويكون موضع الاحتجاج مقتصرأ عليه، مختصرأ في غير ذلك من الكتب، فيقتصر على المختصر، ويترك التخريج من الصحاح؛ لأنه أليق بالكتاب.

ثم قال: إلى غير ذلك من المقاصد التي أبهمها.

ثم قال: وترجيحُ بعض المقاصد على بعض يكون بحسب

حديثٍ حديث، ومحل محل، انتهى.

ومن أمثلة ذلك:

قوله في الحديث الثامن عشر من باب الوضوء، حيث أورد رواية النسائي من حديث جابر رضي الله عنه: «ابدؤوا بما بدأ الله به»، فقال: قد ذكر أن النسائي أخرجه، ولم يُضفْه إلى كتاب مسلم، وإن كان مسلم أخرج الحديث بكماله؛ لأن المقصود هنا بإيراد هذه القطعة منه: ذكر ما احتج به على وجوب الترتيب، وهو قوله: «ابدؤوا بما بدأ الله به»، والمأخذ صيغة الأمر التي ظاهرها الوجوب، وصيغة الأمر لم ترد في كتاب مسلم، ولم يحسن من يقول - إذا احتج بهذه اللفظة - : أخرجه مسلم، وإنما قلنا ذلك لشيء نذكره الآن.

ثم ذكر فائدة جلييلة قال فيها: «معلوم أن نظر المحدث من حيث هو محدث، إنما هو في الإسناد وما يتعلق به، لا من جهة استنباط الأحكام من الألفاظ ومدلولاتها، فإن تكلم في ذلك، فمن حيث هو فقيه، وكذلك العكس، نظر الفقيه فيما يتعلق بالاستنباط من الألفاظ ومدلولاتها، فإن تكلم في الأسانيد فمن حيث إنه محدث، فإذا كان كذلك، فالمحدث إذا قال بعد حديث: أخرجه فلان؛ فإنما يريد أصل الحديث، ولا يريد أنه أخرجه بتلك الألفاظ بعينها، لأن موجب صناعته تقتضي ذلك، ولهذا عملوا الأطراف، واكتفوا بذكر طرف الحديث وقالوا: أخرجه فلان وفلان.

والفقيه إذا أراد أن يحتج بلفظة يقتضي مدلولها حكماً يذهب إليه وقال: أخرجه مسلم، أو فلان من الأئمة، فعليه أن تكون تلك اللفظة التي استنبط منها الحكم موجودة في رواية مسلم؛ لأنه مقتضى ما يلزمه من صناعته.

ثم قال: فمن قال بعد إيراد هذا الحديث للاحتجاج بهذه اللفظة: أخرجه مسلم، لم يحسن؛ لأن موضع الحجة صيغة الأمر، وليست في كتاب مسلم.

ومن أمثلة ذلك أيضاً: قوله في الحديث الأول من باب الطهارة: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»: ليس المقصود الأكبر بهذا الحديث الاستدلال على طهورية ماء البحر؛ لأنه كالمتفق عليه بين الفقهاء، فكان يكفي بذلك؛ لأن الكتاب كتاب اختصار، لكن لما كان يتعلق به

فوائد كثيرة، منها ما يخص هذا الكتاب، ومنها ما يدخل في غيره، ويستدل على ذلك الغير في المكان اللائق به، كان أكثر فائدة من الأحاديث التي تدل على ما يتعلق بهذا الباب خاصة.

وكذا قوله في حديث أبي ثعلبة الخشني الرابع من باب الآنية: الموجب لإدخال هذا الحديث هاهنا: حكم استعمال أواني المشركين، واختير هذا الحديث؛ لكثرة الأحكام الواردة فيه. ثانياً: الصناعة الأصولية:

قال الإمام الزركشي في «البحر المحيط» (١ / ١٤) وهو يذكر مؤلفات الأئمة التي نقل عنها في كتابه: و«شرح الإمام»، وبه ختم التحقيق في هذا الفن.

إن الصبغة الأصولية التي امتلكها الإمام ابن دقيق العيد، رحمه الله، والتي قد برز فيها، قد ظهرت ظهوراً بيّناً في كتابنا هذا، حتى قال فيه الزركشي ما قال.

وإن أكثر ما يثير الانتباه في هذا الكتاب هو حسن استعمال الإمام ابن دقيق لأصول الفقه في استنباط الأحكام وتوجيه الكلام، وصياغته الدقيقة للقواعد، وجودة سببها، وتبسيط عرضها، حتى إن المرء ليخال أنه أول من تكلم في هذا الفن.

ولن أطيل الكلام هاهنا؛ لأنني قد اجتهدت في فهرست القواعد والفوائد الأصولية التي ذكرها الإمام ابن دقيق في كتابه، وذكرت تحقيقاته وأقواله في هذا الفن، وقد بلغت (٣٨٠) ما بين قاعدة وفائدة

أصولية، يجد المرء أكثرها في كتب الأصول، لكن دون الصورة التي قدمها المؤلف - رحمه الله - من الصياغة والسبب والدقة، والتوفيق في استعمالها في المباحث والاستدلالات .

ثالثاً: الصناعة الفقهية :

ويتعلق بذلك الوجوه الآتية التي ذكرها المؤلف في مقدمته وهي :

الوجه السابع : الكلام على المعاني التركيبية ، والفوائد المستنبطة ، والأحكام المستخرجة ، وهذا هو المقصود الأعظم .

الوجه الثامن : اعتماد ما تقدمت الإشارة إليه من عدم الميل والتعصب في ذلك لمذهب معين على سبيل العسف ، فنذكر ما بلغنا مما استدللّ به أصحاب المذاهب لمذاهبهم ، أو يمكن أن يُستدلّ به لهم ، فإن كان وجه الدليل ظاهراً ، وإلا بدأنا ببيانه ، ثم نتبع ذلك بما عساه يُذكر في الاعتذار عن مخالفة ظاهره لمن خالفه إن تيسر ذلك .

الوجه التاسع : الإعراض عما فعله كثير من الشارحين من إيراد مسائل لا تستنبط من ألفاظ الحديث ، كمن يأتي إلى حديث يدل على جواز المسح على الخفين ، أو الاستنشاق ، أو الظُّهَار ، أو الإيلاء مثلاً ، فيأتي بمسائل ذلك الباب من غير أن تكون مستنبطة من الحديث الذي يتكلم عليه ، وإن أمكن فبطريق مستبعد .

الوجه العاشر : ترك ما فعله قوم من أبناء الزمان ، ومن يُعدّ فيهم من الأعيان ، فأكثرُوا من ذكر الوجوه في معرض الاستنباط ،

واسترسلوا في ذلك استرسالاً غير متحرزٍ ولا محتاط، فتخيلوا وتحيلوا، وأطالوا وما تطولوا، وأبدوا وجوهاً ليس في صفحاتها نور، وذكروا أوهاماً لا تميل إليها العقول الراجحة ولا تصوّر، حتى نُقل عن بعضهم أنه ادّعى الاستدلال على جميع مسائل مذهبه الذي تقلّده من الكتاب العزيز.

الوجه الحادي عشر: تهذيب كثير مما ذكره الشارحون للحديث، وتلخيصه، والتحقيق فيه، والمؤاخذه فيما عساه يُؤخذ على قائله.

الوجه الثاني عشر: جلب الفوائد المتبددة من كتب الأحكام التي تقع مجموعة في كلام الشارحين للأحاديث، فيما علمناه على حسب ما تيسّر، انتهى.

هذا ما يخصّ الصناعة الفقهية لدى المؤلف على حسب ما انتهجه في ذكر هذه الوجوه.

وحسبك أن تعرف أن عدد الفوائد والمباحث المستنبطة والمذكورة لدى المؤلف في هذا الباب قد بلغت أكثر من (١٩٠٠) فائدة واستنباط فقهي، وذلك من سبعة وخمسين حديثاً، فما ظنك؟! ثم أعودُ إلى ذكر بعض الفوائد المتعلقة بطريقة استنباط المؤلف رحمه الله، فمن ذلك:

قوله في الفائدة (٣٥٦) من الحديث الأول من باب الآنية: «وقد عرف أن ما هو في معنى الأصل نذكره في فوائد الحديث؛ لأنه بمثابة دلالة اللفظ».

وقوله في الفائدة (٢٢) من الحديث الأول من باب الطهارة:
«ليس من شرط ما يستنبط من الحديث أن لا يكون مختلفاً فيه،
ولا أيضاً من شرطه أن لا يدل عليه نص آخر».

وقوله في الفائدة (١٧) من الحديث الثالث من باب الوضوء:
«والطرق الجدلية تُستمدُّ من سَعَةِ الخيال، ودقة الوهم، ودُرْبَةِ
الاستعمال، والسيف فيها بضاربه، لا بحدّة مضاربه، وهي بمعزل عن
الطرق التي يجب على المجتهد المحقق أن يسلكها في إثبات الأحكام
الشرعية، ولذلك لا تجد شيئاً من هذه الجدليات المتأخرة في شيء
من كلام المتقدمين الذين رجع الناس إليهم في الأحكام».

رابعاً: الصناعة اللغوية:

قال المؤلف في الوجه الرابع من المقدمة أثناء الكلام عن طريقته
في شرح الأحاديث: الكلام على تفسير شيء من مفردات ألفاظه إذا
تعلق بذلك فائدة؛ إما لغرابته عن الاستعمال العادي، أو لفائدة
لا تظهر عند أكثر المستعملين.

وطريقة المؤلف - رحمه الله - في عرضه وشرحه لغريب الألفاظ
جداً مفيدة، فيذكر اللغات الواردة في اللفظة، وتصريفاتها،
وجموعها، وما ترجع إليه اللفظة، وما يتلخص من كلام أهل اللغة
فيها، ويذكر استعمالات العرب للكلمة وما تطلق عليه، ويعضد ذلك
بالشواهد القرآنية والشعرية، ويذكر من كلام أصحاب المعاجم
والكتب، ثم يوجه كلامهم، ويرجح قولاً من الأقوال المذكورة فيها،
وهو في كل هذا ينوع في ذكر مصادر المادة اللغوية المتكلم عليها،

فهو إذن يخلص إلى الحكمة في استعمال هذه اللفظة في الحديث دون غيرها.

ثم هو يذكر - أحياناً - شيئاً من علم الإعراب إن احتج إليه.
ويذكر في بعض الأماكن شيئاً من علم البيان، ويظهر في كل ذلك قوة لغوية تدل على سعة دائرته في هذا الباب.
هذا ما يتصل بما كان المؤلف قد ذكره، وضربت الأمثلة عليه، وبينته من خلال هذا الشرح.

ومما يلحظ المطالع - أيضاً - في هذا الشرح جملة من الأمور أُجملها في الآتي:

١ - أكثر الشارح - رحمه الله - من النُّقلِ عن كتب الشافعية وذكّر مذهبهم في المسألة^(١)، ثم تلاه في الأكثرية فقه المالكية، بينما ذكر مذهب الحنفية والحنابلة في مواضع قليلة من هذا الشرح، ويرجع هذا إلى تفقه الإمام ابن دقيق - رحمه الله - بمذهب المالكية أولاً، ثم تمذهبه واستقراره على فقه الشافعية، والله أعلم.

(١) قال الأُدْفُوي في «الطالع السعيد» (ص: ٥٨٠): أخبرني شيخنا الفقيه سراج الدين الدندري: أنه لما ظهر «الشرح الكبير» - وهو: فتح العزيز في شرح الوجيز - للرافعي، اشتراه ابن دقيق بألف درهم، وصار يصلي الفرائض فقط، واشتغل بالمطالعة، إلى أن أنهاه مطالعة، وذكّر عنده هو والغزالي، فقال: الرافعي في السماء، انتهى.

قلت: وقد أكثر المؤلف - رحمه الله - من النقل عنه في هذا الشرح كما تجده مبيناً في التعليقات.

٢ - دقته في نقل المذاهب؛ كأن يقول: قال الشافعية، أو من قال منهم، قال بعض المالكية، قال بعض المتأخرين من المالكية، قال بعض الحنابلة، وهكذا.

٣ - قد ينكر بعض من لم يتأمل مقاصد المؤلف في هذا الكتاب الإطالة في بعض المواضع من هذا الكتاب، لذا كان ينبه المؤلف - رحمه الله - في مواضع إلى حكمة إطالته، ومن ذلك:

قوله في آخر الفائدة (٢٧٠) من حديث البراء في باب الآنية - بعد أن ذكر صفحات من «الإحياء» للغزالي، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - قال (٢ / ٢٤٢ - ٢٤٣): هذا ما تيسر ذكره على وجه الحكاية عن «الإحياء»، ثم قال: ووجه الحاجة إلى هذه الأمور في الكلام على الحديث ظاهر؛ لأنها أمور قد تعود على العموم بالتخصيص، ومن ضرورة الكلام على الحديث التنبيه على ذلك؛ لأن العمل بالعموم في محل التخصيص خطأ. وعندما أطال الكلام على بيت عاتكة بنت عبد المطلب:

بُعْكَاطُ يُعْشِي النَّاطِرَ يَنْ إِذَا هُمْ لِمَحْوَا شِعَاعُهُ
قال (٤ / ٢٩٤ - ٢٩٥): وقد أطلنا الكلام على هذا البيت لشهرته، وشهرة تعليل المنع بما تقدم، فجرّ ذلك إلى اجتلاب اعتراض على المشهور من وجه الامتناع، وهو كلام أبي إسحاق ابن ملكون، فاغترفنا الإطالة، وإن كانت سبب الملال، لغرابة الاعتراض، ودقة النظر في البيت، على أن كتابنا هذا ليس موضوعاً

على الاختصار، فتُنكر الإطالة، إلا أن المنكر إطالة ما يقتضي المقصود خلافه، أو يقتضي المعرف إنكاره.

٤ - تورعه وتخويفه من القول في الدين دون علم، أو الإفتاء دون بذل الجهد والتأمل في الفتوى.

قال في الفائدة (١٣٢) من الحديث الأول من باب الآنية: فدخل تحت ذلك - أي: التسبب إلى نصرة المظلوم - إبداء العالم والمفتي الحكم الشرعي الذي يحصل به نصر المظلوم، وهو من الواجبات عليه بشرطه، ويترتب عليه أن كل مظلوم نصره بقوله، فإن ثواب النصرة له.

ثم قال: وهذا فضل عظيم، ومنقبة عالية للعلماء، لا سيما الذين أسسوا القواعد من المُدد المديدة والسنين العديدة، ويقابله الخطر العظيم فيه على تقدير الخطأ، وكثيراً ما رأيتهم يستهينون في هذا بقولهم: الواجب في ذلك بذل الجهد، والخطأ بعد بذل الجهد معفو عنه، وهذا صحيح، ولكن الشأن في بذل الجهد، فهاهنا تسكب العبرات.

وللتقصير أسباب كثيرة، وبعضها قد يخفى، ومن أسبابها... ، فذكرها. انظر: (١٥٧-١٥٨).

وقال في ترجمة ابن حبان (١ / ٤٨٢) محذراً من وقوع الناس بعضهم في بعض، خصوصاً في العقائد: «واختلاف الناس في العقائد والمذاهب جزيلاً طويلاً، وأرتع بعضهم في أعراض بعض

مرتعاً وبيلاً، وسدّد في الطعن من السهام ما لا تردّه دروع
الزجر ولا الملام، وبثّ في الأرض داهية يحقّ أن يقال لها: صَمِّي
صَمَامٌ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: ٢٥].

* * *

المبحث الرابع

قيمة الكتاب العلمي

حسبك كتاب يقول فيه الحافظ قطب الدين الحلبي: إنه لم يتكلم على الحديث من عهد الصحابة إلى زماننا مثل ابن دقيق العيد، ومن أراد معرفة ذلك، فعليه بالنظر في القطعة التي شرح فيها «الإمام»، فإن من جملة ما فيها: أنه أورد حديث البراء بن عازب: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع»، واشتمل على أربع مئة فائدة^(١).

حسبك هذا أن يكون هذا الشرح فريداً في بابهِ، بل لعله لم يُصنّف في الإسلام مثله.

وقال عنه الذهبي: وشرح بعض «الإمام» شرحاً عظيماً^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: وصنف «الإمام» في أحاديث الأحكام»، وشرع في شرحه، فخرج منه أحاديث يسيرة في مجلدين، أتى فيهما بالعجائب الدالة على سعة دائرته في العلوم، خصوصاً في الاستنباط^(٣).

(١) انظر: «رفع الإصر» لابن حجر (ص: ٣٩٥).

(٢) انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤ / ١٤٨٢).

(٣) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٥ / ٣٤٨).

وقال عنه الأُدْفُوي وهو يعدد مؤلفات الإمام ابن دقيق: فكيف بـ «شرح الإمام»، وما تضمنه من الأحكام، وما اشتمل عليه من الفوائد النقلية، والقواعد العقلية، والأنواع الأدبية، والنكت الخلافية، والمباحث المنطقية، واللطائف البيانية، والمواد اللغوية، والأبحاث النحوية، والعلوم الحديثية، والمُلح التاريخية^(١).

إن كتاباً أربت مواردهُ على المئتين والثلاثين كتاباً من أمهات كتب الإسلام، اعتمد مؤلفه عليها في أواخر القرن السابع الهجري، لجديرٌ أن يُوقَفَ عنده، وأن ينظر إلى ما حواه، وأن يُنعم النظر في فحواه.

وإن كتاباً بلغت فوائده ومباحثه الحديثية والأصولية والفقهية واللغوية أكثر من ثلاثة آلاف، كلُّ هذا من النظر في خمس وخمسين حديثاً، لشهادة عظمى بعلو كعب هذا الإمام، وتقدم شرحه هذا على غيره من كتب الشروح والأحكام.

ثم إن قيمته الكبرى تبرز في المنهج الذي سار عليه المؤلف في الاستدلال والاستنباط والمناقشة، والذي يعد منهجاً سليماً قوياً؛ إذ يربِّي في نفوس طلبة العلم ملكة الاستدلال والاستنباط في فهم نصوص الكتاب والسنة.

(١) انظر: «الطالع السعيد» للأدْفُوي (ص: ٥٧٥).

ويعطيهم الطريقة المثلى في اختيار النصوص الصحيحة للاحتجاج والاستشهاد.

وتغذي فيهم الملكات الأدبية.

وتنمّي عندهم الشخصية الجامعة بين العلم والعمل، والرواية والدراية^(١).

* * *

(١) ومن هنا أدعو أهل العلم إلى عدم الاتكال على الحفظ والرواية فقط، روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (ص: ٤٣٩ - من القسم المتمم) عن مطرف بن عبد الله قال: قال رجل لمالك: قد سمعت مئة ألف حديث، فقال مالك: مئة ألف حديث!! أنت حاطب ليل تجمع القشعة، فقال: ما القشعة؟ قال: الحطب يجمعه الإنسان بالليل، فربما أخذ معه الأفعى فتنهشه.

فلا بد من الاعتماد على الرواية الصحيحة، والدراية السليمة اللتين تقودان إلى اعتقادٍ وعملٍ موافقين مقبولين.

قال الإمام الشافعي رحمه الله في «الرسالة» (ص: ١٩): والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصّاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يُدرك خيرٌ إلا بعونه، فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصّاً واستدلالاً، ووقفه الله للقول والعمل بما علم منه، فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرّيب، ونوّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة.

المبحث الخامس

موارد المؤلف في الكتاب

* اللغة وعلومها:

١- معاجم اللغة والغريب:

- ١ - «غريب الحديث» - أبو عبيد القاسم بن سلام .
- ٢ - «معجم ما استعجم» - أبو عبيد البكري .
- ٣ - «غريب الحديث» - الهروي .
- ٤ - «مجمع الغرائب في غريب الحديث» - أبو الحسن الفارسي .
- ٥ - «الفائق في غريب الحديث» - الزمخشري .
- ٦ - «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» - الأزهري .
- ٧ - «مشارك الأنوار» - القاضي عياض .
- ٨ - «مطالع الأنوار» - ابن قُقول .
- ٩ - «مفردات ألفاظ القرآن» - الراغب الأصفهاني .
- ١٠ - «المنتخب والمجرد في اللغة» - علي بن الحسن الهنائي، كراع النمل .
- ١١ - «المنجد في اللغة» - علي بن الحسن الهنائي، كراع النمل .
- ١٢ - «الزينة في اللغة» - أبو حاتم السجستاني .
- ١٣ - «جامع اللغة» - محمد بن جعفر القزاز .
- ١٤ - «الاستدراك على كتاب العين» - أبو بكر الزبيدي .

- ١٥ - «المحكم» - ابن سيده .
 ١٦ - «المخصص» - ابن سيده .
 ١٧ - «تهذيب اللغة» - الأزهري .
 ١٨ - «الصحاح» - الجوهري .
 ١٩ - «أساس البلاغة» - الزمخشري .
 ٢٠ - «العباب الزاخر» - الصغاني .

٢ - النحو والصرف :

- ٢١ - «الكتاب» - سيبويه .
 ٢٢ - «اللوامع» - الطرطي .
 ٢٣ - «الملخص في ضبط قوانين العربية» - ابن أبي الربيع الأشبيلي .
 ٢٤ - «البسيط في شرح جمل الزجاجي» - ابن أبي الربيع الأشبيلي .
 ٢٥ - «شرح جمل الزجاجي» - ابن عصفور .
 ٢٦ - «شرح جمل الزجاجي» - ابن الضائع .
 ٢٧ - «المقدمة في النحو» - أبو موسى الجُزُولي .
 ٢٨ - «شرح اللمع» - أبو البقاء .
 ٢٩ - «شرح مقدمة ابن هبيرة في النحو» - أبو محمد بن الخشاب .
 ٣٠ - «شرح المفصل» - ابن يعيش .
 ٣١ - «الإيضاح في شرح المفصل» - ابن الحاجب .
 ٣٢ - «الأمالي النحوية» - ابن الحاجب .
 ٣٣ - «الكافية» - ابن الحاجب .

- ٣٤ - «الشافية» - ابن الحاجب .
- ٣٥ - «جامع الأفعال» - ابن طريف الأندلسي .
- ٣٦ - «الأفعال» - ابن القوطية .
- ٣٧ - كما نقل فصولاً عن ابن برّي، وأبي الحسن الأُبدي النحوي، وعن مُهَلَّب بن الحسن البصري، وغيرهم .
- ٣ - الأدب واللغات :
- ٣٨ - «الحيوان» - الجاحظ .
- ٣٩ - «أعضاء الإنسان وصفاته على ما سمت العرب» - الزجاج .
- ٤٠ - «ديوان الأدب» - إسحاق بن إبراهيم الفارابي .
- ٤١ - «السبب في حصر كلام العرب» - الحسين بن المهذب البصري .
- ٤٢ - «ليس في كلام العرب» - ابن خالويه .
- ٤٣ - «المعرَّب من الكلام العجمي» - الجواليقي .
- ٤٤ - «تثقيف اللسان» - أبو حفص الصقلي .
- ٤٥ - «الأضداد» - ابن الأنباري .
- ٤٦ - «مجمل اللغة» - ابن فارس .
- ٤٧ - «جمهرة اللغة» - ابن دريد .
- ٤٨ - «درة الغواص في أوهام الخواص» - القاسم بن علي الحريري .
- ٤٩ - «الزاهر في معاني كلمات الناس» - ابن الأنباري .

٥٠ - «شرح الزاهر في معاني كلمات الناس» - أبو القاسم الزجاجي .

٥١ - «شرح أدب الكاتب» - ابن السيّد الأندلسي .

٥٢ - «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» - أبو هلال العسكري .

* التفسير وعلوم القرآن :

١ - «أحكام القرآن» - إسماعيل بن إسحاق القاضي .

٢ - «الوسيط» - الواحدي .

٣ - «المحرر الوجيز» - ابن عطية .

٤ - «الكشاف» - الزمخشري .

٥ - «أحكام القرآن» - ابن العربي .

٦ - «التفسير الكبير» - الرازي .

٧ - «تفسير الثعلبي» .

٨ - «معاني القرآن» - الزجاج .

٩ - «معاني القرآن» - الفراء .

١٠ - «إعراب القرآن» - أبو البقاء العكبري .

١١ - «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات» - ابن جنّي .

١٢ - «الحجة للقراء السبعة» - أبو علي الفارسي .

* الحديث وعلومه :

أ - الصحاح والسنن والمصنفات الحديثية الأخرى :

١ - «صحيح البخاري» .

- ٢ - «صحيح مسلم» .
- ٣ - «صحيح ابن خزيمة» .
- ٤ - «صحيح ابن حبان» .
- ٥ - «صحيح ابن منده» .
- ٦ - «المستدرک» - الحاكم .
- ٧ - «سنن أبي داود» .
- ٨ - «سنن النسائي - المجتبی» .
- ٩ - «السنن الكبرى» - النسائي .
- ١٠ - «سنن الترمذي» .
- ١١ - «سنن ابن ماجه» .
- ١٢ - «سنن الدارقطني» .
- ١٣ - «السنن» - الكشي .
- ١٤ - «السنن» - المعمری .
- ١٥ - «السنن الكبرى» - البيهقي .
- ١٦ - «معرفة السنن والآثار» - البيهقي .
- ١٧ - «الطهور» - أبو عبيد .
- ١٨ - «مسند الإمام الشافعي» .
- ١٩ - «مسند الإمام أحمد بن حنبل» .
- ٢٠ - «مسند الحميدي» .
- ٢١ - «مسند أبي عوانة» .

- ٢٢ - «الموطأ» - الإمام مالك .
- ٢٣ - «المصنف» - عبد الرزاق .
- ٢٤ - «المصنف» - ابن أبي شيبة .
- ٢٥ - «المعجم الكبير» - الطبراني .
- ٢٦ - «المعجم الأوسط» - الطبراني .
- ٢٧ - «شرح معاني الآثار» - الطحاوي .
- ٢٨ - «المستخرج على صحيح البخاري» - أبو بكر الإسماعيلي .
- ٢٩ - «المستخرج على صحيح مسلم» - أبو نعيم الأصبهاني .
- ٣٠ - «جزء رفع اليدين في الصلاة» - البخاري .
- ٣١ - «غرائب حديث مالك» - الدارقطني .
- ٣٢ - «بعض أحاديث المقلين من أبناء المكثرين ، وبعض أحاديث المكثرين عن آبائهم المقلين وعن إخوانهم المقلين» - الدارقطني .
- ٣٣ - «الجمع بين الصحيحين» - الحميدي .
- ٣٤ - «الجمع بين الصحيحين» - عبد الحق الإشبيلي .
- ب - العلل والجرح والتعديل :
- ٣٥ - «العلل» - الترمذي .
- ٣٦ - «العلل» - عبد الله بن الإمام أحمد .
- ٣٧ - «العلل» - ابن أبي حاتم .
- ٣٨ - «تاريخ ابن معين» - رواية الدوري .

- ٣٩ - «تاريخ ابن معين» - رواية الدارمي .
- ٤٠ - «معرفة الثقات» - أحمد بن عبد الله العجلي .
- ٤١ - «تاريخ أسماء الثقات» - ابن شاهين .
- ٤٢ - «الجرح والتعديل» - ابن أبي حاتم .
- ٤٣ - «التمييز» - النسائي .
- ٤٤ - «الكامل في الضعفاء» - ابن عدي .
- ٤٥ - «الضعفاء» - العقيلي .
- ٤٦ - «الثقات» - ابن حبان .
- ٤٧ - «بيان الوهم والإيهام» - ابن القطان .
- ٤٨ - «سؤالات أبي زرعة الرازي» - ابن طاهر المقدسي .
- ٤٩ - «التحقيق في أحاديث الخلاف» - ابن الجوزي .

ج - مصطلح الحديث :

- ٥٠ - «المحدث الفاصل» - الرامهرمزي .
- ٥١ - «معرفة علوم الحديث» - الحاكم .
- ٥٢ - «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» - الخطيب البغدادي .
- ٥٣ - «علوم الحديث» - ابن الصلاح .
- ٥٤ - «شروط الأئمة الستة» - ابن طاهر المقدسي .

د - شروح الحديث :

- ٥٥ - «التمهيد» - ابن عبد البر .
- ٥٦ - «التقصي لحديث الموطأ» - ابن عبد البر .

- ٥٧ - «الاستذكار» - ابن عبد البر .
- ٥٨ - «المنتقى في شرح الموطأ» - الباجي .
- ٥٩ - «القبس في شرح الموطأ» - ابن العربي .
- ٦٠ - «الأنوار في شرح الموطأ» - ابن زرقون .
- ٦١ - «شفاء العبي في شرح مسند الشافعي» - أبو السعادات ابن الأثير الجزري .
- ٦٢ - «شرح البخاري» - عبد الواحد بن عمر بن عبد الوهاب .
- ٦٣ - «شرح البخاري» - السفاقي .
- ٦٤ - «المعلم بفوائد مسلم» - المازري .
- ٦٥ - «إكمال المعلم» - القاضي عياض .
- ٦٦ - «المفهم» - القرطبي .
- ٦٧ - «المنهاج في شرح مسلم» - النووي .
- ٦٨ - «معالم السنن» - الخطابي .
- ٦٩ - «حاشية المنذري على سنن أبي داود» .
- ٧٠ - «عارضه الأحوذ في شرح سنن الترمذي» - ابن العربي .
- ٧١ - «شرح السنة» - البغوي .

* الفقه وأصوله :

١- أصول الفقه :

- ١ - «الملخص في أصول الفقه» - القاضي عبد الوهاب المالكي .
- ٢ - «اللمع في أصول الفقه» - أبو إسحاق الشيرازي .

- ٣ - «المعتمد في أصول الفقه» - أبو الحسين البصري .
- ٤ - «البرهان في أصول الفقه» - الجويني .
- ٥ - «المستصفى» - الغزالي .
- ٦ - «المحصول» - الرازي .
- ٧ - «الإحكام» - الأمدى .
- ٨ - «مختصر ابن الحاجب» .
- ٩ - «شرح تنقيح الفصول» - القرافي .
- ١٠ - «قواعد الأحكام» - العز بن عبد السلام .
- ١١ - «مختصر المحصول» - أحد المتأخرين لم يُسمَّ .

٢ - الفقه :

أ - المذهب الحنفي :

- ١٢ - «المحيط» - شمس الأئمة السرخسي .
- ١٣ - «مختصر الطحاوي» .
- ١٤ - «بدائع الصنائع» - الكاساني .

ب - المذهب المالكي :

- ١٥ - «المدونة» - الإمام مالك - رواية ابن القاسم .
- ١٦ - «العتبية» - الإمام مالك .
- ١٧ - «المجموعة على مذهب مالك وأصحابه» - ابن عبدوس المالكي .

- ١٨ - «تهذيب المدونة» - البراذعي .

١٩ - «النوادر» - ابن أبي زيد القيرواني .

٢٠ - «المقدمات الممهديات» - ابن رشد .

٢١ - «التفريع» - ابن الجلاب المالكي .

ج - المذهب الشافعي :

٢٢ - «الأم» - الإمام الشافعي .

٢٣ - «مختصر المزني» .

٢٤ - «المهذب» - أبو إسحاق الشيرازي .

٢٥ - «التنبيه» أبو إسحاق الشيرازي .

٢٦ - «التعليق الكبير» أبو علي الحسين بن محمد المروزي .

٢٧ - «التهذيب في الفروع» - البغوي .

٢٨ - «نهاية المطلب في دراية المذهب» - الجويني .

٢٩ - «الحاوي» - الماوردي .

٣٠ - «بحر المذهب» - الروياني .

٣١ - «التقريب في شرح مختصر المزني» - القفال الشاشي .

٣٢ - «الوسيط» - الغزالي .

٣٣ - «فتح العزيز في شرح الوجيز» - الرافعي .

٣٤ - «الاستقصاء لمذاهب الفقهاء في شرح المهذب» - عثمان بن

عيسى أبو عمرو الماراني .

د - المذهب الحنبلي

٣٥ - «مختصر الخرقي» .

٣٦ - «المغني» ابن قدامة .

هـ - متفرقة :

٣٧ - «الأوسط» - ابن المنذر .

٣٨ - «الإشراف» - ابن المنذر .

٣٩ - «المحلى» - ابن حزم .

٤٠ - «الرد على ابن حزم» - أبو بكر بن مفلح .

٤١ - «الرد على ابن حزم» - القاضي عبد الحق أبو محمد

الأنصاري المغربي المهدوي .

٤٢ - «مصنف أبي الحسن بن المغلس الظاهري على مسائل كتاب

المزني» .

٤٣ - رسالة «المنصفة في طهارة الرجلين في الوضوء» سليم بن

أيوب الرازي .

٤٤ - رسالة الشريف الرضي في المسح على الرجلين .

٤٥ - «المنهاج» - الحلبي .

٤٦ - «إحياء علوم الدين» - الغزالي .

٤٧ - «المسالك» - ابن العربي المالكي .

٤٨ - «سراج المريدين» ابن العربي المالكي .

* التاريخ والتراجم :

أ - التاريخ والبلدان :

١ - «التاريخ الكبير» - البخاري .

٢ - «تاريخ بخارى» - محمد بن أحمد البخاري الملقب: غنجار.

٣ - «تاريخ ابن أبي خيثمة» .

٤ - «تاريخ نيسابور» - أبو عبد الله الحاكم .

٥ - «تاريخ أصبهان» - أبو نعيم الأصبهاني .

٦ - «تاريخ بغداد» - الخطيب البغدادي .

٧ - «تاريخ قزوین» - أبو يعلى الخليل بن عبد الله .

٨ - «تاريخ دمشق» - ابن عساكر .

٩ - «تاريخ الغرباء الواردين على مصر» - ابن يونس .

١٠ - «مروج الذهب» - المسعودي .

١١ - «البلدان» اليعقوبي .

١٢ - «تاريخ سمرقند» - أبو سعد الإدريسي .

١٣ - «ذيل المذيل» - أبو جعفر الطبري .

ب - التراجم والطبقات :

١٤ - «الطبقات الكبرى» - ابن سعد .

١٥ - «الطبقات» - خليفة بن خياط .

١٦ - «الكنى» - أبو أحمد الحاكم .

١٧ - «الاستيعاب» - ابن عبد البر .

١٨ - «طبقات الفقهاء» - الشيرازي .

١٩ - «الإرشاد في معرفة علماء الحديث» - أبو يعلى الخليلي .

٢٠ - «مختصر الإرشاد في معرفة علماء الحديث» - أبو طاهر السلفي .

- ٢١ - «الإكمال» - ابن ماكولا .
- ٢٢ - «تكملة الإكمال» - ابن نقطة .
- ٢٣ - «رجال صحيح البخاري» - الكلاباذي .
- ٢٤ - «رجال صحيح مسلم» - ابن منجويه .
- ٢٥ - «رجال الصحيحين» - ابن طاهر المقدسي .
- ٢٦ - «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» - الرشاطي .
- ٢٧ - «تقييد المهمل» - أبو علي الجياني .
- ٢٨ - «التقييد» - ابن نقطة .
- ٢٩ - «أسد الغابة» - ابن الأثير .
- ٣٠ - «الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبي عليه السلام» - ابن الأمين .
- ٣١ - «الإلحاق على الاستيعاب في معرفة الأصحاب» - ابن فتحون .
- ٣٢ - «المفهم في شيوخ البخاري ومسلم» - محمد بن إسماعيل بن خلفون الأونبي .
- ٣٣ - «التعريف بمن ذكر في الموطأ من الرجال والنساء» - ابن الحذاء القرطبي المالكي .
- ٣٤ - «الكمال في أسماء الرجال» - عبد الغني المقدسي .
- ٣٥ - «تهذيب الأسماء واللغات» - النووي .

* مؤلفاته التي ذكرها في هذا الشرح :

- ١ - «الإمام في معرفة أحاديث الأحكام» .
- ٢ - «الإمام بأحاديث الأحكام» .
- ٣ - «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» .
- ٤ - «الاقتراح في بيان الاصطلاح» ، إلا أنه لم يصرح باسمه .
- ٥ - «شرح مختصر ابن الحاجب» .

* * *

المبحث السادس

وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق

كثيراً ما كان يستوقفني في قراءتي للنسخة الخطية الأزهرية - وهي التي اعتمدها أصلاً - غموض كلام الإمام ابن دقيق العيد، حتى إنني كنت أعيد قراءة الفقرة منه خمس مرات أحياناً، حتى يتبين لي الصواب في فهم ما يريده رحمه الله. وكنت أرى أن سبب ذلك هو أسلوب الإمام ابن دقيق؛ ومن ذلك: كثرة الفواصل بين الكلام، وتباعد أطراف الجمل، ودقة ملحظه الدقيق فيما يريد، ونحن قوم قد ألفنا نمطاً من الكتابة غير الذي كان عليه السابقون، فما الظن بكلام إمام مجتهد.

وكنت كلما تقدمت في معرفة طريقته وأسلوبه، ازداد إعجابي بدقة استدلاله واستنباطه.

ثم تبين لي أيضاً أن تفكير الكلام وتفصيله، وترقيم الجمل وضبطها، خليق أن يجعل كلامه بيئاً واضحاً لا لبس فيه، وأن يجنب مطالعه كثيراً من الزلل في فهم مراده رحمه الله.

ولا أنسى ذكر التصحيقات والتحريفات في النسخ الثلاث المعتمديات، والتي كان لها دور كبير فيما عانيتها لإخراج هذا الكتاب بهذه الصورة القريبة من وضع المؤلف إن شاء الله.

ولا غرو في ذلك، فهذا كتاب أصولي استدلالي فقهي بالجملة، فلا يكاد يسلم الصواب كله لناسخه.

ولا بد من التنويه أيضاً إلى أن الكتاب كان إملأء من الإمام ابن دقيق رحمه الله، قال الأذفوي: قال صاحبنا شمس الدين علي بن محمد الفوئي: إنه كان - يعني: ابن دقيق - يملئ عليه «شرح الإمام» من لفظه، وهو الذي كتبه عنه، وكذلك حكى لنا أفضى القضاة شمس الدين محمد بن محمد القمّاح قال: جلسنا عنده غير مرة وهو يملئ «شرح الإمام» من لفظه، انتهى^(١).

وكذا ذكر الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة»^(٢) في ترجمة علي ابن محمد الفوئي الشافعي، فقال: وعلق عن ابن دقيق من «شرح الإمام».

هذا وقد وقفت - بفضل الله ومنه - على ثلاث نسخ خطية لهذا الشرح الحافل، لا رابع لها فيما بلغني عن كثير من المصطلعين من أهل العلم بمعرفة المخطوطات.

وهذا وصف لكل واحدة منها:

الأولى: وهي النسخة المصورة عن الأصل الموجود في دار الكتب المصرية بالقاهرة، وتقع في (٣١٣) ورقة، تكررت فيها أربع ورقات في الحديث الثالث من باب الوضوء، أدخلها الناسخ خطأ من الحديث السابع عشر، فيكون عدد أوزاقها (٣٠٩) على التمام.

(١) انظر: «الطالع السعيد» (ص: ٥٨١ - ٥٨٢).

(٢) انظر: (١١٨ / ٤) منه.

وفي الورقة الواحدة وجهان، في كل وجه (٣١) سطراً، وعدد الكلمات في السطر الواحد (١٥) كلمة تقريباً.

أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشيخ الإمام العالم العلامة، الزاهد العابد الورع، الحافظ الضابط، فريد دهره، ووحيد عصره، محيي السنة، مميت البدعة، تقي الدين أبو الفتح محمد بن أبي الحسن علي بن وهب القشيري رضي الله عنه وأرضاه: الحمد لله شارح حرج الصدور بلطفه».

وأخرها: «الوجه الثالث: في تصحيحه: الترمذي أخرجه منفرداً به عن الجماعة، وحكم بصحته، ورواه عن أبي عمار الحسين بن حريث، عن علي بن الحسين واقد، عن أبيه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، والله الموفق للصواب».

وقد حصل في هذه النسخة سقط كبير في باب الآنية، عند الحديث الثاني منه، وفيه تمتته، وشرح أربعة أحاديث أخرى من هذا الباب، وقدّرت هذا السقط بأربعين لوحة كما بينته في موضعه (٢ / ٣٨٢). وقد جاء مكتوباً في الهامش عند هذا السقط، «بلغ مقابلة فصحّ، والله الحمد والمنة، ومنه التوفيق والعصمة، ويليه باب السواك . . . عدد (٣٥) حديثاً، يسّر الله إتمامها».

وهذه النسخة بخط نسخ لا بأس به، لم يذكر اسم ناسخها، وهي نسخة مُقَابِلَةٌ كما أُثبت في هوامشها في مواضع عدة، وعليها تصحيحات في الهامش بخط الناسخ نفسه، وعليها عدة أختام، وقد كان ينه أحياناً إلى وجود البياضات التي حصلت في الأصل المنقول

عنه، كان يترك التنبيه على ذلك في الأغلب. كما كان يترك أحياناً ترقيم الفوائد والمسائل في بعض الأحاديث.

والنسخة دون الوسط في الصحة، وليست مما يعتمد عليها في التصحيح؛ لكثرة التحريف والتصحيف فيها، وكان ناسخها لم يكن من العلم بأصول النسخ والنقل بذاك، ولولا اكتمال نصّها - عدا ما حصل من السقط المشار إليه آنفاً -، ووجود مقدمة المؤلف المهمة فيها، والزيادات الموجودة فيها على بقية النسختين الآخرين، لما اتخذتها أصلاً أعتمد عليه وأقدمه على غيره.

وكنت قد أشرت إلى هذه النسخة أثناء المقابلة بـ «الأصل» وأحياناً أرمز لها بحرف «م».

الثانية: نسخة مصورة عن مكتبة كوبريلي بتركيا، تحت رقم (٨١)، وتتنظم أوراقها في (٢٦٧) ورقة، في كل ورقة وجهان، وفي كل وجه (٣٥) سطراً تقريباً، وفي كل سطر (١٣) كلمة تقريباً.

وهي نسخة مخرومة في أولها، تبدأ بعد كلام في المسألة الأولى من الوجه السابع من الكلام على الحديث الأول في هذا الكتاب، بقوله: «وللنظر فيه محل غير هذا، بسبب الحاجة إلى معرفة حالة الرواة، ثم إن لك أن تأخذ من الحديث مطلق الركوب من حيث هو ركوب».

وأخرها: «الوجه الثالث: في تصحيحه: الترمذي أخرجه منفرداً به عن الجماعة، وحكم بصحته، ورواه عن أبي عمار الحسين بن حريث، عن علي بن الحسين واقد، عن أبيه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، والله الموفق للصواب».

وقد جاء في آخر هذه النسخة على الهامش قوله: «هذا آخر ما وجدته، ونقلته من خط الإمام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي على سقم فيه، وذكر أن هذا آخر ما وجدته. وكتبه: عبد الرحمن بن علي بن خلف الفارسكوري، عفا الله عنهم أجمعين».

فناسخها إذن هو العلامة الشافعي زين الدين عبد الرحمن بن علي بن خلف الفارسكوري القاهري، المتوفى سنة (٨٠٥هـ)^(١)، نقلها من خط العلامة الحنفي جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي الحنفي صاحب كتاب «نصب الراية» المتوفى سنة (٧٦٢هـ)، والزيلعي - رحمه الله - قد نقلها أيضاً عن أصل^(٢) لعله: للشيخ شمس الدين علي بن محمد الفوّي الذي كتبها من إملاء الإمام ابن دقيق العيد عليه، كما تقدم قريباً.

فهي نسخة موثقة متقنة، خطها واضح جيد، ضبط فيها ما يشته من ألفاظ، وأشار إلى البياض الموجود في الأصل ومقداره، وإلى

(١) وهو الذي قد عمل شرحاً على «شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق، وجمع فيه أشياء حسنة، ولكنه عُدِم، كما ذكر السخاوي في «الضوء اللامع» (٩٦/٤).

(٢) جاء عند الوجه الثاني من الحديث الثاني عشر من باب الضوء قوله في الهامش: وجدت في الأصل ما مثاله: وجدت في الأصل يرجع إلى الوريقة التي أولها: الوجه الثالث في إيراد الحديث. قال: ولم أجد الورقة. ثم بيض نحو من نصف صفحة.

مواضع الخلل في الكلام، فكثيراً ما يذكر فوق الكلمة أو الجملة الغامضة: (كذا)، أو يقول: كذا وجد، ونحو ذلك.

كما أن هوامش هذه النسخة قد حُلِّيت بتصحيحات وتصويبات تدل على نباهة ودقة ناسخها.

ولولا الخرم الموجود في أولها، وبعض المواضع الساقطة فيها، لاتخذتها أصلاً يعتمد عليه، فإن ناسخها علامة شافعي، نقلها عن علامة حنفي، نقلها - فيما أظن - عن تلميذ المؤلف، نقلها هو من إملاء الإمام ابن دقيق رحمه الله، والله أعلم.

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ت».

الثالثة: نسخة مصورة عن المكتبة البديعية بباكستان، وتقع أوراقها في (١٧٧) ورقة، في كل ورقة وجهان، وفي كل وجه (٢٣) سطراً، وفي كل سطر (١١) كلمة تقريباً.

وهي نسخة مخرومة الأول، تبدأ بعد كلام في المسألة الثالثة من الوجه السابع في الكلام على الحديث الأول من هذا الكتاب وهو قوله: «إرسال الثلاث حينئذ إرسالها في المنكوحة التي هي محل الخلاف».

وانتهت بعد بداية الحديث الثاني من باب الآنية، عند السقط المشار إليه في النسخة «م».

وهي نسخة إما منقولة من النسخة «م»، أو أنها منقولة من المصدر نفسه الذي نُقلت منه النسخة «م»، وذلك لتشابههما فيما

رأيت، إلا أنها نسخة لا يعوّل عليها كثيراً وذلك للنقص الكبير فيها، فهي لا تعدو أن تكون ثلث الكتاب، ثم إنها مختلطة الأوراق، وثالثاً صعوبة القراءة فيها لرداءة تصويرها.

ومع ذلك فقد أفتتُ منها في مواضع كثيرة عند الاختلاف بين النسختين «م» و«ت».

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف «ب».

* * *

البحث السابع

بيان منهج التحقيق

١ - نسخ الأصل المخطوط، وهو مصورة دار الكتب المصرية
- كما أسلفت - المشار إليها بـ «الأصل»، والمرموز لها أحياناً
بـ «م»، وذلك بحسب رسم وقواعد الإملاء الحديثة.

٢ - معارضة المنسوخ بالمخطوط، للتأكد من استقامة النص وصحته.

٣ - معارضة المنسوخ بالنسختين الخطيتين «ت» و«ب»، وإثبات الفروق
بينهما، باعتماد النص الأصوب في متن الكتاب، وجعلت لإثبات
تلك الفروق جملة من الضوابط منها:

آ - أثبتت الزيادات والسقطات التي لا يستقيم النص إلا بها في
متن الكتاب، وجعلتها بين معكوفتين، وإلا أثبتها في الهامش.

ب - أثبت التقديم والتأخير في الكلام، وكذا اختلاف اللفظ أو
المعنى.

ج - أهملت فروق النسخ التي وقع فيها تصحيف أو تحريف أو
خطأ بين من النسخ، وذلك كالأرقام، وتكرار بعض الجمل والكلام،
وكذا أغفلت إثبات الفروق في نحو «رحمه الله»، و«رضي الله عنه»،
والاختلاف في لفظ الصلاة على النبي صلى عليه وسلم؛ كقولهم مثلاً
في نسخة: «عليه الصلاة والسلام»، وفي أخرى: «عليه السلام»، وفي
أخرى «صلى الله عليه وسلم»، ونحو ذلك؛ إذ غالب هذا يكون من
تصرف النساخ، والله أعلم.

د- كثيراً ما كنت أقول :

في الأصل : كذا، والمثبت من «ت» .

أو :

في الأصل كذا، والتصويب من «ت» .

فإن كان للكلمة وجه أو تأويل أثبت الجملة الأولى ، وإن لم يكن لها وجه ، بل هي خطأ صرف ذكرت الجملة الثانية .

هـ- لم أعوّل كثيراً على إثبات الفروق من النسخة «ب» ، للأسباب التي ذكرتها سابقاً في وصف النسخ الخطية .

٤- ضبطت بالشكل شبه الكامل كلاً من : أحاديث المتن والشرح ، والأشعار والأرجاز والأمثال ، والأسماء والبقياع .

٥- أدخلت علامات الترقيم المعتادة على النص ، ووضعت الكتب والمصنفات بين قوسي تنصيب لتمييزها ، وكذا تفكير الكلام ، وتسويد عناوين الأبواب والمهمات من الكلام .

٦- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من الكتاب العزيز ، وكان إدراجها برسم المصحف ، وجعلت العزو بين معكوفتين في متن الكتاب بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٧- خرّجتُ الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب ؛ أما أحاديث المتن : فذكرت رواياتها وطرقها مستوفاة من الكتب الستة ، بذكر رقم الحديث والكتاب والباب اللذين ورد فيهما .

وأما أحاديث الشرح: فتقيدت بما يعزوه الشارح رحمه الله،
والإضافة عليه أحياناً إن دعت الحاجة إلى ذلك. فما كان في
الصحيحين - أو أحدهما - عزوت إليهما دون غيرهما، وذلك بذكر
رقم الحديث والكتاب والباب، ثم أنبه إلى صاحب اللفظ، وذكرت
اسم الصحابي الذي روى الحديث إن لم يذكره الإمام ابن دقيق
رحمه الله.

وكذا إذا كان في السنن الأربعة أو أحدها عزوت إليها دون غيرها
وفق الطريقة الماضية.

فإن كان الحديث خارج الأصول الستة المذكورة عزوت إلى
مصادره دون الإطالة في ذلك.

وفي كل ذلك كنت أذكر الحكم على الأحاديث صحة وضعفاً،
معتمداً على كلام أئمة هذا الشأن من المتقدمين والمتأخرين، وأعني
بالتأخرين منهم: الإمام ابن دقيق، وابن تيمية، والذهبي، وابن
القيم، وابن حجر، والسخاوي، وأمثالهم.

ولم أركن إلى قول المتأخرين الفضلاء في زماننا هذا إلا في
مواضع قليلة جداً.

٨ - خرجت الآثار الواردة عن الصحابة والسلف رضوان الله عليهم
أجمعين.

٩ - وثقت تراجم الصحابة والرواة الذين ترجم لهم المؤلف رحمه
الله، بذكر مصادر ترجمتهم الرئيسة التي وقفت عليها.

١٠ - وثقت المواد اللغوية وغريب الحديث الذي ذكره المؤلف من المعاجم والمصنفات المؤلفة في هذين البابين، والتي نقل عنها المؤلف وكانت مطبوعة متوافرة لدي.

١١ - خرجت الأبيات الشعرية والأرجاز التي استشهد بها المؤلف، وذلك بالإحالة على الديوان إن كان للشاعر ديوان، وإلا فمن كتب العربية وأمّهات مصادر اللغة، دون الاستفاضة في التخرّيج، ثم وضعت الأوزان الشعرية بين معكوفتين.

١٢ - وثقت النقول من الكتب التي نقل عنها المؤلف سواء الحديثية منها أو الأصولية أو الفقهية أو العربية، وهو - رحمه الله - لا يذكر مرجعه في نقله أحياناً.

١٣ - عرّفت ببعض الأعلام غير المشهورين، وكذا عرّفت ببعض الكتب التي نقل عنها المؤلف ولم تطبع بعد، أو ما زالت مفقودة.

١٤ - شرحت بعض الكلمات الغريبة الواردة عند المؤلف - رحمه الله - سواء كانت من لفظه أو لفظ غيره.

١٥ - ذكرت في كثير من الأحيان الأئمة الذين نقلوا عن ابن دقيق في هذا الكتاب، خصوصاً الزركشي في «البحر المحيط»، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري».

١٦ - أوضحت بعض العبارات المبهمة والغامضة، بغية تقريب كلام الإمام ابن دقيق رحمه الله، وقد كان العزم معقوداً لشرح كل جملة قد يشكل فهمها، لكنني أعرضت عن ذلك، خشية زيادة حجم الكتاب، ولاختلاف الأفهام والأنظار، فالفهم - كما يقال - عرضٌ يطرأ ويزول.

١٧ - ذكرت في مواضع عديدة فوائد وكتبتاً بديعة من كلام الأئمة من أمثال الإمام المحقق ابن القيم والحافظ ابن حجر وغيرهما، وذلك فيما يتصل بكلام المؤلف رحمه الله .

١٨ - قدمت للكتاب بفصلين :

أولهما : في ترجمة المؤلف رحمه الله .

وثانيهما : في دراسة الكتاب ، وفي كل منهما مباحث متعددة، ثم وصفت النسخ الخطية التي اعتمدها في التحقيق .

١٩ - ذيلت الكتاب بفهرس تحليلي متنوع اشتمل على :

١ - فهرس الآيات القرآنية الكريمة .

٢ - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة «المتن» .

٣ - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة «الشرح» .

٤ - فهرس الآثار والأقوال .

٥ - فهرس الأعلام المترجم لهم .

٦ - فهرس الأشعار والأرجاز .

٧ - فهرس غريب اللغة والحديث .

٨ - فهرس القواعد والفوائد الأصولية .

٩ - فهرس القواعد والضوابط الفقهية .

١٠ - فهرس الكتب المعرف بها .

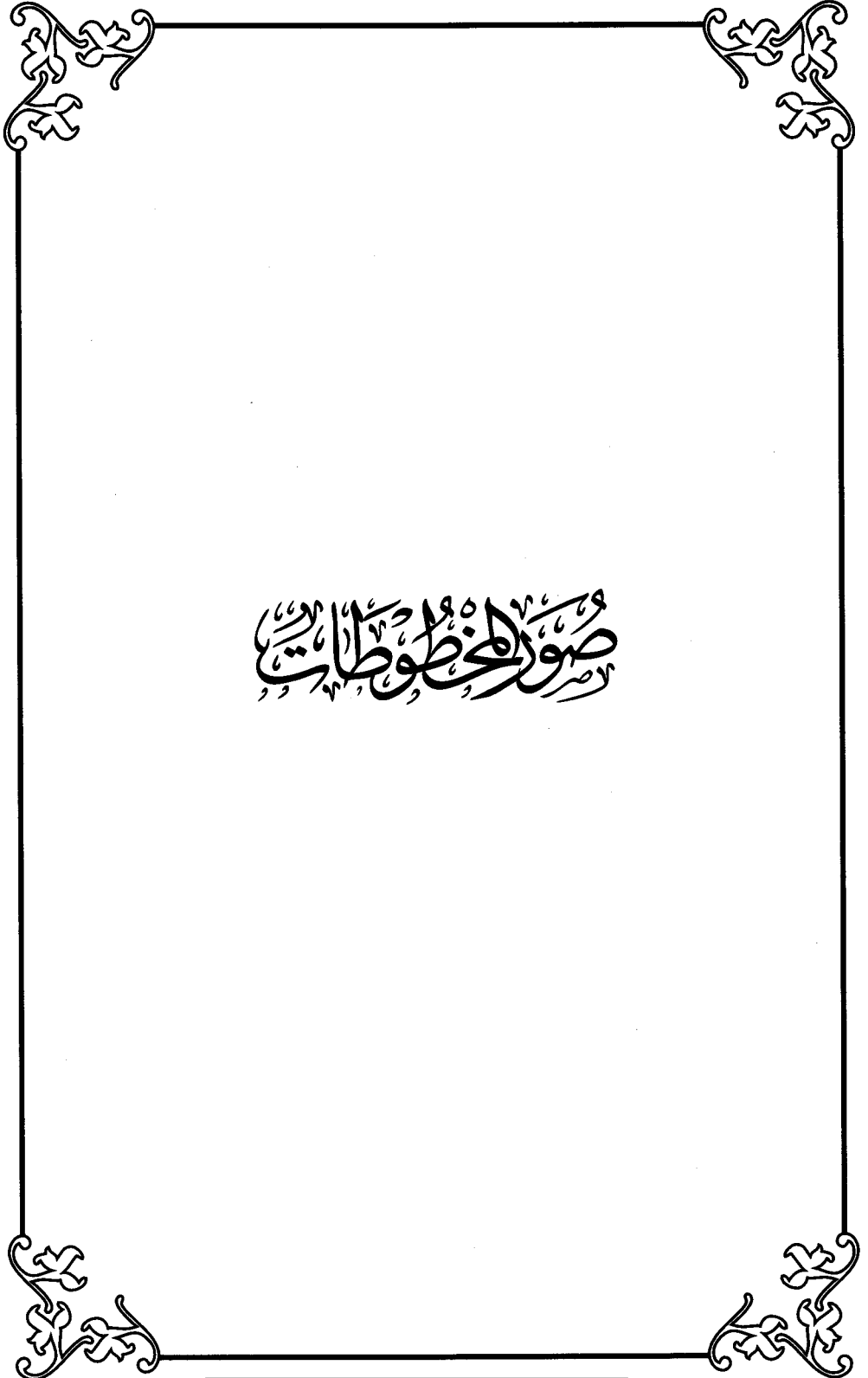
١١ - فهرس الموضوعات والفوائد والمسائل التي ذكرها

المؤلف في شرح الأحاديث .

١٢ - فهرس مصادر ومراجع التحقيق .

١٣ - الفهرس العام .

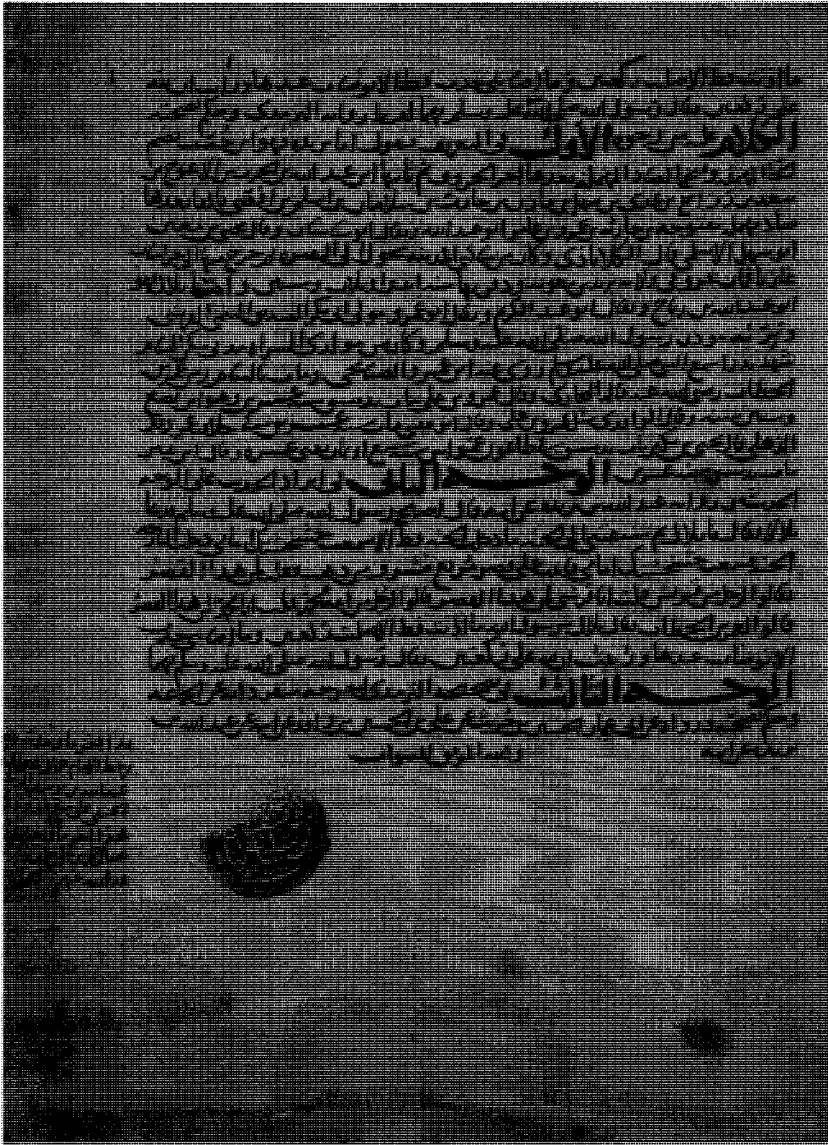






صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة كوبريلي،

المرموز لها بـ (ت)



صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية لمكتبة كوبريلي، المرموز لها بـ «ت»

ان الازمنة ليست بالافعال

الكتابة انما ثلاث سينها زارستان المسكر حذا التي هي محل الخلاف
لاستعمال المكاج في نفس الامر لان ما ارسلنا ثلاث بنا على طه نقاه
الذبح بمعنى طه تكون المسكر في قوله على قور امتناع الارتفاع واعلم ان
هذا المثال يتم اقله للذين ومن غير عيب ثلاثة فالا اذا لم يظهر ذلك
فكون البيان واجبه ودفع المسند الوقوع في الارسلان لها الى الخلف بما
على بقا الظن بانها مسكوحه طليقتا معسده فيجعل بذلك هو اذ عينه فاذا لم
بين امتناع الارسلان على تقدير الارسال للاغص وتزحم وقوع الفرق
بالفان ذل على جوارا الارسلان اذ لو حرم ليين دفعا لوقوع المسند اليه
على ظن بقا المكاج ومثلا استبشاره صلى الله عليه وسلم بالحق القانين شب
اشامه وينبغي وان الذين لا يعبرون بالحق القانين معتدرون بان الاتفاق
مفسده في صورة الاشتباه وتساها منه لاحق بالقرائن وحكم الشرع فلا يتحقق
المفسده عندهم في نفس الامر لان لما كان الظاعنون في الدين اذ تقدموا
ان لا الحاق بالقيافه جميع القانين ذلك الظن منهم مع ثبوت النسب شرعا في
خدم المفسده في الحاق القانين وللبحث في هذا المقام موضع غير هذا
وانما المقصود ان ضرب المثال وسياقي في الكلام ان هذا الحديث
ما يرجع الي هذا في اشارة البحث والتمها ان يحكم خبر عن حكم شرعي بحضرة صلى
الله عليه وسلم فيسكت عنه فيقال ذلك على ذلك الخلق كما لو اذ عينه
ان هذا الفعل واجبا ويحظر في غير ذلك من الاحكام وهذا ظاهر
وزانها ان خبر بحضرة عن امر الله بحكم شرعي فيجوز ان يكون من القانين فيقول
ان لا يكون فهل يكون شكوته دليلا على مطابقتها مثلا لمخلف غير محضته
صلى الله عليه وسلم ان امره اذا اخطا ولم يتكره عليه ذلك فهل بذلك
على كونه هو ام لا وفي خبره كقول من اهل الحديث ما شعر بان ذهب الي
ذلك ولا قرب عندي في الخبر اخذ المسند ومثله المعنى كقول القانين

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية للمكتبة البديعية،

المرموز لها بـ (ب)

يا اولاد من العرب والفتون الى من فعل هذا انه اكل في صحاف
 من الذهب والفضة واذا اكل ذلك من معنى من يتناول حصيدا للصورة
 المتناهية ولا ياتي به من غير الذي هو ولا يتلافاه الا بالبر من معنى
 المتبرعة فيكون حصيدا للفظ متساويا لهما من الاثارة من اللفظ
 على بخان ينسب قوله على حصيدا اوه وحله على حصيدا حصيدا
 عترة الذي يعنون من يكون في معنى من ان ردة الى معنى
 اللفظ منه بطريق الماويل هو مجلد وتفسير ذلك وليس بعد ان يتر
 منابع من في معنى اللفظ في اللفظ لا تتصل لا تتطابق بل الصورة
 التي تتصل بها اوه وان يكون لا يطرفا اللهم ندماطي الاثارة
 التي مقيمه يسميه بقوله المال في الكين وزيدي لا زور وقال
 بقدرين الذهب الحوي في كتاب الفقه المعهود من معنى في
 مقر الشئ اوه على ما يلقى ما يلقى لفترا البيضة والملح يتناول
 ويد في الدار والمال في الكين ان اسمه عشرة قوله فانما لهم
 في الدنيا والدين في الاخرة وفي رواية عن عبد الله بن عكيم لا تتفرق
 عن الله الذهب والفضة ولا تتنوا الا بساج والحدير فانما لهم في الدنيا
 والدين في الاخرة فانما على هذا الرواية في ذلك في الضير في قوله
 الذي رواه وقد في ان يورد في ذلك من انما الذهب والفضة
 والحديد والدياج على قوله فانما ذلك ذكر من روي في قوله
 من طوط من شواذ ولحق كانه في الحد نوليع البق
 واحذر ان له لم يتصل كانه شهد على الخيط او كما في معنى على اللفظ
 واللفظ في ذلك الذي يتناول البق واللفظ في ذلك
 الصاب فانما لهم في الدنيا وهي الكين في قوله في قوله
 على الاثارة والصفاء في قوله في قوله على الجميع الى قوله فان قلت

في قوله
 في قوله
 في قوله
 في قوله

صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية للمكتبة البديعية،
 المرموز لها بـ (ب)

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
5	* مقدمة التحقيق
	الفصل الأول: ترجمة الإمام ابن دقيق العيد
13	المبحث الأول: اسمه ونسبه وولادته، ونشأته وطلبه للعلم
16	المبحث الثاني: صفاته وأخلاقه
20	المبحث الثالث: علم الإمام ابن دقيق رحمه الله وبلوغه رتبة الاجتهاد
25	المبحث الرابع: مشاهير شيوخه
28	المبحث الخامس: مشاهير تلامذته
33	المبحث السادس: تصانيفه
38	المبحث السابع: ثناء الأئمة والعلماء عليه
42	المبحث الثامن: وفاته
43	المبحث التاسع: مصادر ترجمته
	الفصل الثاني: دراسة الكتاب
49	المبحث الأول: تحقيق اسم الكتاب
52	المبحث الثاني: بيان صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف
54	المبحث الثالث: منهج المؤلف في الكتاب
69	المبحث الرابع: قيمة الكتاب العلمية
72	المبحث الخامس: موارد المؤلف في الكتاب
86	المبحث السادس: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق
93	المبحث السابع: منهج التحقيق
99	* صور المخطوطات